كتب في أعناق الأئمة

إسرائيليات حول مولد الرسول ﷺ

تحقيق

الرائد المتقاعد شاكر الحاج



مؤسسة المعارف

بيروت - لبنان

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها

الطبعة الأولى
1424هـ - 2003م
ISBN 9953-434-79-4

الإدارة العامة : كورنيش المزرعة – بناية إسكندراني – ط2
هاتف وفاكس :00961-1-653852/00961-1-653857
المكتبة والمستودعات : شارع حمد بناية رحمة
هاتف وفاكس : 00961-1-640878
هاتف جوال : 227724-892210-205669 (00961-3-)
ص . ب **11/1761** – بيروت – لبنان
E-mail: maaref@cyberia.net.lb
WWW.al-maaref.com

كتب في أعناق الأئمة

إسرائيليات حول مولد الرسول (ص)

تحقيق

الرائد المتقاعد شاكر الحاج

الناشر
مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى زوجتي بشرى وأبنائي ناريمان، باسم، نسرين وأحمد.

وإلى كل أب مسلم وأم مسلمة.

وإلى أطفال أمتي ضحايا القهر والعدوان أينما وجدوا في هذا العالم.

أُهدي كتابي هذا علَّه يوقظ فيهم روح الإسلام فتتوحّد صفوفهم ويعودون إلى كتاب الله ﷻ كخطوطة أولى للتخلُّص مما يعانون من همجية عالم يدّعي الحضارة ويمارس بحقهم شتّى أنواع الاضطهاد إرضاءً للصهيونية العالمية المسيطرة على القرار العالمي.

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كم كنت أتمنى أن لا أجد في المكتبات الإسلامية كتباً تثير الشكوك والشبهات، لما تحتويه من أفكار تضرّ بالعقيدة الإسلامية.

ولكن أمنيتي هذه اصطدمت بكَمٍّ هائل من الكتب التي لا يسع أي مؤمن السكوت عنها. فوددت لو كنت قارئاً عنكم لا كاتباً لكم حول مخاطرها، لأن الفائدة تكون أعمّ وأشمل لو تناولتها عقول لا يسعني أن أضع نفسي أمامها إلا كقطرة واحدة أمام بحر عظيم.

ونظراً لعدم تناول الأئمة لهذه الكتب، فقد تطوّعت لمعالجة بعض ما وصلني وما سيصلني منها في سلسلة من الكتب سأضعها بتصرفكم تحت عنوان: (كتب في أعناق الأئمة) وما كتابي هذا إلا الكتاب الأول منها والذي سأتوّجه به إلى الخاصة من أولياء الأمة كمرحلة أولى، لأنهم يدركون ما أرمي إليه من خلال العناوين ولا يعوزني الشرح والتفصيل. وما اعتمادي على ذلك في البداية إلا حفاظاً على إيمان العامة من جهة، وثقتهم بأئمتهم من جهة أخرى، لذا أرجو الله تعالى أن يوفّقنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

○○○○○

❃

تمهيد

ما أنا إلّا مسلم بسيط أرهقه ما يدور حوله من اضطهاد لإخوانه واحتقار وامتهان لدينه في جميع أنحاء العالم.

وقد شاء القدر أن أعايش ما يُحاك ضد المسلمين في فلسطين والشرق الأوسط، في البوسنة والهرسك، في الباكستان وأفغانستان، في الشيشان وأذربيجان، في الهند وكشمير، وفي الجزائر والمغرب العربي، ولم يسلم من هذا الاضطهاد مسلمو أميركا وأوروبا، مع العلم أنهم ينضوون تحت أنظمة هذه الدول ويطبقون قوانينها ويراعون أنماط حياتها، ولكن ذنبهم الوحيد أنهم مسلمون.

فهدف الاستعمار اليوم يَنْصَبُّ حول تدمير هذه الأمّة المؤمنة بالله ﷻ وبرسله، والتي تعتبر القرآن الكريم دستوراً شاملاً لتنظيم شؤون حياتها الدينية والدنيوية، وكذلك سنّة نبيه محمد ﷺ لشرح وتوضيح ما جاء به القرآن الكريم، وتنظم التفاصيل الجزئية للدين فيما لم يرد مفصّلاً في كتاب الله ﷻ.

وكون عالمنا اليوم تتحكّم فيه المذاهب الوجودية والمادية، ويسوده الاحتكار والفساد، لذا فالهُوَّةُ بين المسلم المؤمن والعالم هذا تزيد اتساعاً يوماً بعد يوم، والغربة تتحقق أكثر فأكثر لأن القرآن الكريم دستور المسلمين لا يتفق في تعاليمه مع ما يعيشه عالم الفساد هذا، فمبادئ الإسلام لا تلتقي مع مبادئهم بل وتتناقض معها، والتناقض بحدّ ذاته أول خطوة في طريق الفرقة التي تقود إلى الخصام..

ونظراً لأن الأمة الإسلامية في وضعها الحاضر لم توفَّق في الانضواء تحت راية دعوة الإسلام الموحّدة، وبالتالي لا تمتلك القدرة العسكرية للدفاع عن ذاتها، فقد أصبحت عرضة للاضطهاد والتنكيل.

فمنذ ظهور الإسلام واليهود يضمرون له العداء ويكيدون له المكائد، وبحكم تواجدهم على امتداد العصور في الغرب الخالي من الجاليات الإسلامية الفاعلة، فقد تمكّنوا من تأليب الكثيرين من أبناء البلاد التي يعيشون فيها ضد المسلمين وزجّهم في محاربة المسلمين والتدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية لحكوماتهم، حتى بتنا كما ترون نتلمّس البقاء على قيد الحياة وكأن حياتنا منّة من هؤلاء الظالمين الطغاة، وأصبحنا وكأننا جُرّدنا حتى من حق الدفاع عن أنفسنا وأرضنا ومقدساتنا.

بالطبع لم يرض جميع المسلمين بهذا الواقع المرير، فثارت روح البطولة والجهاد عند الشجعان من مؤمنينا وآثروا الموت على هذه الحياة المذلّة، فكان جزاؤهم أن وصفوا بالإرهابيين، ليس على لسان اليهود وأتباعهم فحسب، وللأسف بل دعمتهم في ذلك أصوات تدين بالإسلام، ولم يقفوا عند حد الهدم الكلامي بل جدّوا في استصدار الفتاوى والأحاديث لإدانة هؤلاء المجاهدين.

فدولة الإسلام وأرض المسلمين مزّقها الاستعمار، راسماً في أرجائها خطوطاً لحدود خلافية وهمية، ارتضيناها لأنفسنا وتقاسمتها سياسات محلية تدين لهذا المعسكر أو ذاك، ولم يعد يجمع بينها إلا اللغة والدين.

واللغة بحدّ ذاتها تعرضت لهجمات شرسة، فطالب بعضهم بتغيير حروفها علّه يستطيع طمس معالمها، ونعتها آخرون بعدم الكفاية أمام مستجدات العلم والتكنولوجيا، ولكن والحمد لله فإن لغة القرآن الكريم قد حفظها الرحمٰن الرحيم.

○ ○ ○ ○ ○

دور الدين في وحدة الأمة

يبقى العامل الأهم الذي هو عامل الدين، فهو القوة التي تحرك مكامن القدرة في الأمة، هو الجامع المانع، هو العقيدة والنظام، هو الروح التي تحرك هذا الجسد المترامي الأطراف، ففي صلاح العمل بالدين صلاح الأمة وفي الابتعاد عنه خرابها.

وما يهمنا هنا بالذات التركيز على عامل الدين في وحدة الصف الإسلامي، الذي استهدفه أعداؤه بالحقد والبغضاء والدسائس والفتن، حتى بالحروب العسكرية والاقتصادية والفكرية منذ بدء الرسالة حتى يومنا هذا.

فبالعودة إلى القرآن الكريم نستطيع فقط تجميع شملنا والاتحاد كما أمرنا الله ﷻ في الآية من سورة آل عمران: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

ثم يجب التنبُّه من أعداء الإسلام ممن ذكرهم الله ﷻ في القرآن الكريم وخاصة الذين حدّدهم جلّ وعلا في الآية ٨٢ من سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ﴾.

فبعد التوحُّد وتحديد أشدّ الأعداء يأمرنا ﷻ في الآية ٦٠ من سورة الأنفال بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

فماذا فعلنا من كل ذلك حتى الآن ونحن نرى الهيمنة الصهيونية تدفع ببعض الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية إلى محاربة المسلمين تحت ستار من الدوافع المعلنة الكاذبة بمجملها والتي تخفي واقعها

المرير، وهدفها المستتر، الذي هو الحرب العقائدية على الإسلام.

وهذه الحرب العقائدية هي أخطر أنواع الحروب على الإطلاق لأن من يخسر معركة عسكرية يمكنه أن يستجمع قواه ويربح معركة أخرى، ولكن الذي يخسر عقيدته فقد خسر كل شيء وبالتالي فقد أصبح بغير هدف أو تطلُّعات.

لذلك نرى أن الصهيونية العالمية تركّز على هذا النوع من الحروب، وللتأكيد على ضلوعها في التخطيط لما يتعرض له عالمنا الإسلامي على أيدي الصهاينة أنفسهم وبمساعدة إدارات دولية أخرى، يطرح أمامنا اليوم موضوع تغيير المناهج التربوية في العالم الإسلامي الذي تطوعت الولايات المتحدة الأميركية لتنفيذه بدءاً من العراق، تنفيذاً لرغبة الصهيونية العالمية المعادية للأديان السماوية كافة، وخاصة الدين الإسلامي الذي تورّطت مع معتنقيه من الأمة العربية بعدة حروب من أجل إقامة دولتها العنصرية على أرضه، والقرآن الكريم كتاب هذه الأمة ودستورها فرض الجهاد في سبيل الله، فهان الموت عند المسلمين المؤمنين، وأحبوا الشهادة في سبيل الله ودفاعاً عن أرضهم ومقدساتهم، فأمام عدو من هذا النوع يعجز اليهود عن تمرير كافة مخططاتهم، إلا إذا تمكنوا من إبعادهم عن جوهر دينهم، فكانت فكرة تغيير المناهج التربوية، لخلق جيل جديد يدور في فلكهم ويتماشى مع تطلعاتهم، تسهيلاً لتحقيق أهدافهم التوسعية في عالمنا العربي والإسلامي.

○ ○ ○ ○ ○

أسئلة تحتاج إلى أجوبة

حتى تتضح لنا الدوافع الكامنة وراء هذا المشروع، وجب علينا أن نسأل الولايات المتحدة الأميركية بالذات، هل وجدت في كتاب الله ﷻ أو في الأحاديث النبوية الشريفة أو في الفقه الإسلامي ما يوحي بأن المسلمين يضمرون العداء للشعب الأمريكي؟

أو هل وجدت في الإنجيل ما يبرر لهم هذا العداء؟

بالطبع لم يجدوا ولن يجدوا ما يبرر هذا العداء، إلا إذا اعترفوا بأنهم ينوبون عن اليهود في حروبهم هذه، وبذلك يتضح الهدف الذي من أجله أعلنوا الحرب على المسلمين.

إذاً ما هو الهدف من تغيير المناهج التربوية في العالم الإسلامي؟ وما الذي ينوون تغييره؟

أينوون تغيير الفيزياء أم الكيمياء أم الجبر أم الهندسة أم الصرف والنحو في اللغة العربية؟

أو أنهم ينوون تغيير التاريخ والجغرافيا والعقيدة بجميع محتوياتها الدينية والثقافية والأخلاقية؟

فبغير عناء ندرك أن المقصود بالتغيير هو الشق الثاني والذي يحتوي بالأخص على العقيدة الدينية، فلا نستغرب منهم ذلك إذا عدنا قليلاً إلى الوراء وراجعنا سوياً ما حصل بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

فبعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في عهد الرئيس السادات، تبادلت الدولتان السفراء، فاستدعى رئيس الوزراء الإسرائيلي السفير المصري، وحمّله رسالة للرئيس السادات يطالبه فيها بحذف الآيات المتعلقة بعداء اليهود

للإسلام من القرآن الكريم، وبالطبع لم يقبل الرئيس السادات حتى مجرد البحث في هذا الموضوع.

فهل من يريد تعديل وتحوير القرآن الكريم سيعِفُّ عن تحوير الحديث والفقه والاجتهاد، أو أنه سيحوّره بما يتلاءم مع مصلحته إن تمكن من ذلك؟

فعداء اليهود للإسلام عداء مبدئي لا يمكن تحسينه أو تجميله أو حتى مهادنته، وإلا لما ذكره الله ﷻ في كتابه الكريم في الآية ٨٢ من سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ . . .﴾.

فمنذ فجر الإسلام واليهود يحاولون تدمير الدين الحنيف، وما أكثر ما وصل إلينا من أخبار غدرهم بالرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولا ينسى المسلمون نقضهم لعهودهم ومحاولاتهم لنشر الفتن بين المسلمين وكان الرسول ﷺ لا يزال حياً، وما فعلوه بعد موته ﷺ كان أدهى وأعظم، فلم يفوتوا فرصة ولا مناسبة إلا استغلّوها للإضرار بالإسلام والمسلمين، فكلنا يعلم محاولات اليهود لدسّ الأحاديث الكاذبة عن رسول الله ﷺ، فلما فشلوا في ذلك فلم يعدموا وسيلة إيصال الضرر إليه، كيف لا ودين الإسلام دين دعوي يباح لمن أراد اعتناقه، وليس بمقدورنا منعه، فالدين لله وليس ملكاً لنا.

ولما كان الإسلام ديناً شمولياً، فمن عجز عن الإضرار به من الخارج يمكنه الدخول فيه والإضرار به من الداخل، وسأورد مثلاً واحداً من آلاف الأمثال على ذلك وهو يدور حول شخص الحاخام اليهودي شبتاي صبي مؤسس فرقة الدونمة الذي ادّعى أنه المسيح المخلص فحورب وأتباعه، فادّعى اعتناق الإسلام وقام بدور الداعية الإسلامي، فكَثُر أتباعه ولا يزالون يعيشون في بعض الدول الإسلامية على أساس أنهم مسلمون إلى يومنا هذا، مع العلم أنهم ليسوا بمسلمين، وإن لم أستفض بالشرح حول هذا الحاخام فلأنني أعلم بأن معظم أئمة الإسلام يعرفون عنه الكثير سيّما وأنهم يجدون في المكتبات ما يغني الشرح والتحليل حول كامل حياته.

○○○○○

أهمية التعليم الديني ومصادره

لم يعد يخفى على أحد في أيامنا هذه ما للتربية الدينية والثقافية من كبير الأثر في تنشئة الفرد العقائدية والفكرية، فبسموّها تسمو الروح المعنوية، وتهون التضحية حتى بالنفس دفاعاً عنها، وكم تسمو هذه الروح عندما تنتقل من مجال الفردية إلى مجال الجماعة التي تتلاقى بالهدف والفكر والعبادة مع الآخرين الذين يملكون نفس التربية والتطلعات.

فكيف يتم ذلك ومن أين نستقيه؟

أ ـ من القرآن الكريم.

ب ـ من السنّة المطهّرة.

ج ـ من الحديث النبوي الشريف.

د ـ من الفقه والاجتهاد.

هـ ـ من الكتب الدينية.

و ـ من الفقهاء والأئمة.

وكوني أتكلم عن مصادر التعليم الديني وليس عن مصادر التشريع فلن أتطرّق لذكر القياس والمصالح المرسلة والعرف والعادة... إلخ.

فالقرآن الكريم محفوظ من رب العالمين بقوله تعالى في الآية التاسعة من سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

والسنّة المطهرة والأحاديث النبوية الشريفة، فقد ولى إلى غير رجعة زمن الخوف عليها بفضل علماء الدين الذين جاهدوا في تقصّي حقيقتها وصحة إسنادها قبل إدراجها في كتبهم، وبالتالي لم يعد ممكناً نسبة أحاديث جديدة إلى الرسول ﷺ كما كان اليهود يحاولون في بداية الدعوة الإسلامية.

كما أن الفقه عند كافة المذاهب قد أصبح معروفاً ومقنناً ومن المستحيل تبديله أو الدخول في مسائل تتناقض مع ما هو مدوّن منه.

أما الاجتهاد فقد أقفل بابه عند بعض المذاهب، ولضرورات لا يسعنا الاعتراض عليها فقد أُبقي هذا الباب مفتوحاً عند مذاهب أخرى.

يبقى علينا أن نعرف كيف تدخل المعلومات التي تحتويها هذه المصادر إلى ألباب المسلمين؟

تتعدد المؤسسات التي تقوم بنقل مضامين هذه المصادر إلى المسملين ولكن أهمها على الإطلاق المؤسسات الأربع التالية:

١ ـ الأسرة.

٢ ـ المسجد.

٣ ـ المؤسسة التربوية (المدرسة والمكتبة).

٤ ـ وسائل الإعلام (راديو ـ تلفزيون ـ إنترنت ـ وسائل مكتوبة)... إلخ.

ooooo

مدى حصانة المؤسسات والمصادر

إذا استثنينا المسجد وبعض ما تحتويه المكتبات كالقرآن الكريم والكتب الثابتة المضمون مثل: كتب الحديث النبوي الشريف وكتب الفقه والاجتهاد، تصبح باقي المؤسسات المذكورة آنفاً عرضة لشتى أنواع الأخطار العقائدية والفكرية، فبواسطتها يستطيع أعداء الدين بثّ سمومهم في عقول المسلمين.

وحتى لا أتهم بالمبالغة سأنقل لكم حرفية ما جاء في الصفحة ٣٧٨ من الجزء الثالث من تاريخ الطبري.

ـ كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان ثم تنقّل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص: ٨٥] محمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها... إلخ. انتهى نص الطبري.

وقبل أن نتابع البحث وجب عليّ التذكير بأن الآية ٨٥ من سورة القصص الآنفة الذكر والتي استند إليها عبد الله بن سبأ لا تعني رجعة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه كما يزعم، بل إنها فسرت على غير ما زعم حسب إجماع الأئمة والمفسرين، وجميع التفاسير لا تقر بعودته صلوات الله وسلامه عليه إلى الحياة الدنيا كما قال ابن سبأ، ولكنه فسّرها كما تقتضي مصلحته ومصلحة القضية التي يعمل من أجلها والتي حددها الطبري كما تقدم بأنها تضليل المسلمين.

لم يكتف ابن سبأ بتبني مبدأ الرجعة للنبي محمد ﷺ، بل تعداه إلى

المفاضلة بالأحقية بهذه الرجعة بين النبي محمد ﷺ وعيسى بن مريم عليه السلام.

فلا مصلحة للمسلمين من هذه المفاضلة.

ولا مصلحة للمسيحيين أيضاً منها.

ولا يتطابق ما قصده منها مع ما جاء به القرآن الكريم؟

فهذا المثال الحي عن عبد الله بن سبأ ليس الأول أو الأخير الذي يمكننا إدراجه، بل إنه مجرد مثل واحد عن يهودي عجز عن إلحاق الضرر بالإسلام من الخارج، فاعتنقه وفعل ما فعل فيه على أساس أنه مسلم.

كما يجب أن لا ننسى ما لعبد الله بن سبأ وأفكاره وطروحاته من كبير الأثر في مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومع كون بعض المؤسسات وخاصة وسائل الإعلام كإحدى هذه المؤسسات تمكّن أعداء الإسلام من التوجه إلى عقول المسلمين، ولكنها رغم انتشارها الواسع تبقى آنية المفعول ومحدودة النتائج إذا ما قيست بالنسبة للكتاب.

فالكتب المشبوهة المحتوية على بعض الضلالات والبدع تعتبر ألدّ أعداء المسلمين، لأنها أرسخ من البرامج الإذاعية والتلفزيونية وغيرها، والتي غالباً ما تمر في حياة المسلم مرور الكرام، على عكس الكتاب الذي تحتويه مكتبته، فإن ضرره دائم ومستمر ما استمر وجوده، ويبقى كذلك إلى أن يأتي من ينقده، علّه بذلك يستطيع حذفه من تداول المسلمين.

ومن بين الكتب الإسلامية التي يمكن أن يتناولها عبث العابثين نذكر كتاب المولد النبوي الشريف.

○ ○ ○ ○ ○

*

المولد النبوي الشريف في الميزان

قراءة السيرة النبوية الشريفة، عادة اتبعها عامة المسلمين منذ مئات السنين، وأضحت رغم الانتقادات التي توجه إلى طريقة قراءتها من بعض الجماعات الإسلامية، محطة من محطات شحن النفوس بالإيمان والتقوى لدى المؤمنين ومحبي الرسول صلاة الله وسلامه عليه.

وفي معرض بحث السيرة النبوية الشريفة، فقد اطلعت على كتاب المولد المنسوب لابن الديبع فوجدت فيه الكثير من المغالاة والمغالطات التي تثير الشكوك حول قصد مؤلفه من تصنيفه على هذا النحو.

وحيث أني من بيئة اعتادت على نذر قراءة المولد النبوي الشريف في مناسباتها للتبرك به، أو عند تعرض أحد أفرادها لما يؤرق حياته، وبما أن الكتاب المتداول في بيئتي هو كتاب المولد المنسوب لابن الديبع، والذي لا أجد فيه مرجعاً صالحاً لهكذا مناسبات.

وحرصاً مني على أن تكون هذه السيرة المطهرة غنية بالصحة والواقعية، وبعيدة عن الزيغ، فقد آليت على نفسي تسليط الضوء على بعض مضامينها والتعليق عليها، رامياً من ذلك حب رسول الله ﷺ وحب الإسلام والمؤمنين الصالحين من بعده.

○ ○ ○ ○ ○

*

*

المسلمون إلى أين؟

بما أن الإسلام دين الحق، والمسلمون دالت لهم معظم أمم العالم طيلة حقبة غير قصيرة من الزمن، وها هم اليوم للأسف الشديد في الدرك الأسفل من مصاف الأمم.

فلماذا حل بنا ما حل؟

ولماذا أصبحنا كذلك؟

أينقصنا كتاب منزل ينظم حياتنا والقرآن الكريم كتابنا؟

أم يلزمنا نبي ينذرنا ويبشّرنا وسيد المرسلين نبيّنا؟

أم نحتاج إلى دين والإسلام دين الحق ديننا؟

فماذا ينقصنا إذاً للعودة إلى ما كنا عليه، وما الذي نحتاجه للعودة إلى روح الإسلام؟

فما أسهل وأيسر طريق العودة إلى تعاليم القرآن وروح الإسلام، إذا توفر لنا القَيِّمُ الصالح الذي يطبق الإسلام قولاً وعملاً.

وتسهيلاً للظروف أمام هذا القَيِّمُ بات لزاماً على المعنيين بأمور الدين والعقيدة الإسلامية تمحيص كافة الكتب والمراجع التي تتناول أمور الدين، للوقوف على صحة مضامينها وكذلك تَقَصِّي الأهداف التي وضعت من أجلها، قبل وضعها بين أيدي المسلمين.

لأن الكتاب كما نعلم هو المرجع الأهم، والمصدر الثاني بعد القرآن الكريم الذي يحتوي ما يغذي عقول المؤمنين بالعقيدة الإسلامية.

فأي عبث في الكتاب يؤدي إلى تشويش هذه العقيدة عند معظم العامة، خاصة الذين لا يساعدهم إدراكهم العلمي على التمييز بين ما هو صحيح وما هو مؤول.

وحتى تتحقق أمنية العودة هذه، إذا قدر لها أن تتحقق في يوم من الأيام، لا ينبغي أن نبقى مكتوفي الأيدي أمام ما تتعرض له أمتنا على أيدي العابثين بمقدراتها، لذا وجب على كل مؤمن أن يقوم بدوره للدفاع عنها، وما دور العالم والمثقف بقليل لأن الأخطار الفكرية والعقائدية أشد فتكاً بالأمة من الأسلحة العسكرية مهما عظمت قوتها التدميرية.

فعملاً بقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليقوِّمْهُ بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان» أقدم بحثي هذا الذي يناقش كتاب المولد المنسوب لابن الديبع. فمن هو ابن الديبع؟

هو وجيه الدين عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي المعروف بابن الديبع، وقد أورد كتاب المولد الذي نناقش عنه محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني.

ويقع هذا الكتاب في أربع وخمسين صفحة من الحجم المتوسط وفيه الكثير الكثير من المغالاة والاندفاع اللامنطقي والمغالطات وقد اعتمد المؤلف على السجع في تصنيفه حتى طغى سجعه عل مضمونه.

أما ماذا في الكتاب؟ فإليك ما ساعدني علمي على اكتشافه في طياته.

○ ○ ○ ○ ○

مشروع الفتنة

في الصفحة ١٥ والصفحة ١٦ من الكتاب موضوع البحث ورد ما حرفيته:

قيل: هو آدم؟

قال: آدم به أُنيله أعلى المراتب.

قيل: هو نوح؟

قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب.

قيل: هو إبراهيم؟

قال: إبراهيم به تقوم حجته على عُبَّاد الأصنام والكواكب.

قيل: هو موسى؟

قال: موسى أخوه، ولكن: هذا حبيب، وموسى كليم ومخاطب.

قيل: هو عيسى؟

قال: عيسى يبشر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب. (انتهى نص المؤلف).

من يتابع هذا الحوار يستنتج أن كلمة قال: تعني الله ﷻ، لأنه لا يحق لغير الله ﷻ أن يقول: آدم به أُنيله أعلى المراتب.

أما كلمة قيل: فتعني الملائكة عليهم السلام، لأنه من غير الممكن أن يكون للبشر ـ باستثناء بعض الرسل ـ كلام مباشر مع الله ﷻ.

فكامل هذا الحوار أورده المؤلف عن الله ﷻ وملائكته عليهم السلام.

فعن أي كتاب سماوي نقله؟

ومن أي حديث نبوي شريف استوحاه؟

ومن أوصل له هذا الحوار الذي ساقه لنا بهذا القالب؟

إني لا أجد مرجعاً لهذا الحوار سوى مخيلة المؤلف، التي سبكته بهذا القالب لأهداف يمكننا استنتاجها بعد التعمُّق بدراسة ما جاء فيه.

فالله جلّ وعلا قال حسب المؤلف:

- آدم به أُنيله أعلى المراتب.
- نوح به ينجو من الغرق... إلخ.
- إبراهيم به تقوم حجته... إلخ.
- موسى أخوه... إلخ.
- عيسى يبشّر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب.

من يدقق في قول الله ﷻ الذي نسبه له المؤلف يجده قد أظهر فضل نبيّه محمد صلواته وسلامه عليه على الجميع، باستثناء موسى عليه السلام فهو أخوه. (وهنا يجب أن ننوّه بأن كلمة أخوه مستوحاة من الفصل الثامن عشر من سفر تثنية اشتراع من التوراة) حيث وردت كما يلي: ١٨ ـ أقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم ما آمره به.

فلماذا هذا الاستثناء؟

وهل عزّ على المؤلف أن يكون للنبي محمد ﷺ فضل على نبي اليهود موسى عليه السلام؟

أم أنه لم يستطع مساواة موسى عليه السلام بباقي الأنبياء؟

سيتبين لنا القصد منها بعد تحليل عبارة (عيسى يبشر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب).

وللوقوف على المعنى المقصود من هذه العبارة وأهدافها، يجب علينا معرفة المقصود بكلمة حاجب المدرجة فيها.

فماذا تعني كلمة حاجب في اللغة العربية؟

تتعدد معاني كلمة حاجب في اللغة العربية وقد وردت في لسان العرب المعاني التالية:

الحاجبان: العظمان اللذان فوق العينين بلحمهما وشعرهما.

حاجب الشمس: ناحية منها.

الحجاب: الستر.

الحاجب: البواب، حاجب الأمير.

وبالطبع فلا علاقة للمعنيين الأولين بالنص الذي نناقش لعدم انطباقهما عليه.

يبقى أمامنا المعنيان الثالث والرابع فأيهما يقصد؟

فالستر أو الستار أو الساتر بمعنى الواقي أو الحامي فإنها جميعاً تحجب عن شيء أو تحجب من شيء.

فلو قال المؤلف: وهو عن نبوته كالحاجب لسلمنا بقصده هذا المعنى، ولكنه قال وهو بين يدي نبوته كالحاجب، وعبارة بين يدي: تثبت عدم التكافؤ بين الاثنين، لأن من كان بين يدي آخر فهو بلا شك أدنى منه.

وكذلك لو أنه قال: وهو من نبوته كالحاجب لكانت الكارثة أعظم، لأنه لا يمكن لعيسى عليه السلام أن يقي أو يحمي من نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه لأنه من المبشرين بها وليس من أعدائها.

يبقى المعنى الأخير الذي هو البوّاب أو ما يعني حاجب الأمير: بما أن المؤلف اعتمد على تفضيل النبي محمد ﷺ في حواره على سائر الأنبياء باستثناء موسى عليه السلام فلا غرابة إن قلنا: أنه يقصد المعنى الرابع.

فمن يقرّ بأنه لولا سيدنا محمد ﷺ، لم ينل آدم عليه السلام أعلى المراتب، ولم ينج نوح عليه السلام من الغرق، ولم تقم حجة إبراهيم عليه السلام، يستطيع إكمالاً لسلسلة التفضيل هذه أن يضع عيسى بن مريم عليه السلام حاجباً بين يدي نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

أما لماذا أدرج المؤلف مقولته هذه؟

فالجواب الأول: يمكن أن يكون هدفه مدح وتعظيم النبي محمد ﷺ، وفي المفاضلة كما وردت مخالفة صريحة للقرآن الكريم سنتبينها عند ذكر الآيات البينات المؤيدة لذلك.

والجواب الثاني: يمكن أن يكون هدفه سياسياً وبالتالي نقع في إطار الإساءة للإسلام والمسيحية على حدّ سواء لخروج العبارة عما أمرنا الله ﷻ في القرآن الكريم.

فهل ينطبق ما نسبه المؤلف لله ﷻ مع ما أمرنا الله به في القرآن الكريم؟

ففي الآية ١٣٦ من سورة البقرة يقول تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾.

ففي هذه الآية يخاطب الله ﷻ عباده، ذاكراً له بعض أنبيائه ورسله، وناهياً العباد عن التفرق بينهم، آمراً إياهم بالإيمان بما أنزل عليهم جميعاً دون تفريق أو تفضيل، وكما ترون فإن الله ﷻ أنزل هذه الآية بصيغة مبسّطة واضحة لا تحتمل التأويل أو التفسير على غير وجه مما أراد لها الله ﷻ أن تكون.

ثم يقول تبارك وتعالى في الآية ٢٥٣ من نفس السورة: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾.

فمقام التفضيل هنا لله وحده ولا علاقة للعباد به فهو ﷻ من فضل ورفع وآتى وأيد، فما شأن العباد فيما قاله الله ﷻ في هذه الآية؟

وبما أن القرآن الكريم لم يذكر للعباد تسلسل تفضيل الأنبياء عند الله ﷻ، بل أمرهم بعدم التفريق بينهم، فلا يحق للمؤلف أو لغيره تبني هكذا تفضيل، لأنه يخالف ما جاء في كتاب الله ﷻ.

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قال: «لا تفضلوني على الأنبياء»[1]. وفي رواية أخرى: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[2].

---

(١) الحديث بما معناه، رواه الطحاوي في كتاب «شرح معاني الآثار»: «لا تفضلوني على موسى». وفي كتاب «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة: «لا تفضلوني على يونس».اهـ مصححه.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله».

فأين المؤلف مما جاء في القرآن الكريم ومما جاء في الحديث النبوي الشريف؟

فعيسى بن مريم عليه السلام نبي من أنبياء الله عز وجل وكلمة منه وهو وجيه بإذن الله في الدنيا والآخرة وهو من المقربين.

هذا ما نجده في الآية ٤٥ من سورة آل عمران حيث يقول عز وجل: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وكما ترون فالآيات التي بين أيدينا تخالف تمام الاختلاف ما ذكر المؤلف.

فما رأيكم في الدوافع، ولماذا لم يختر المؤلف سوى عيسى بن مريم عليه السلام لمفاضلته هذه؟

أوَليست الأديان السماوية هي: اليهودية والمسيحية والإسلام، ومن هو العدو المشترك بينهم؟

أفلا ترون معي أصابع الفتنة التي يمدها مؤلفنا باتجاه الإسلام والمسيحية؟

بعد ذلك أؤكد بأن أحداً من المسلمين لا يرضى أن يقلل من شأن نبي من أنبياء الله عز وجل، أو رسول من رسله بعدما أمرنا بمساواته بمن سبقه ومن لحقه من الأنبياء والرسل؟

فمن يعظّم النبي محمداً ﷺ بالانتقاص من قدر نبي آخر يقع في لجّة من الأخطاء، ومخالفة صريحة لكتاب الله والنبي الكريم.

وبدون أدنى شك أَسحب هذا الحوار برمّته من ذمة المسلمين لأنهم لا يتبعون إلا القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، وكلاهما لا يتفقان مع ما ذكره المؤلف، وتباعاً لذلك لا يمكن أن يكون للإسلام أو المسلمين علاقة بكتابة كهذه.

ونسبة الحوار لله عز وجل محض افتراء وبالتالي فلا يحق لأي مسلم تبنّيه أو حتى قراءته.

ولست مبالغاً إذا اعتبرت أن هذه العبارة لا تندرج إلا تحت عنوان الفتنة التي أرادها المؤلف بين الإسلام والمسيحية، وبما أن الإسلام هو الطرف الأول والمسيحية هي الطرف الثاني فلا فائدة لكليهما من هذه الفتنة، إذاً هنالك طرف ثالث سيستفيد منها وبالتالي فهو عدو مشترك لكليهما.

فمن هو هذا العدو المشترك؟

بعد توضيح الصورة على نحو ما أوردنا فإنني أرى أن من يملك جزءاً يسيراً من المنطق يستطيع أن يكتشف هذا الطرف الثالث، الذي لم يساو في حواره إلا موسى عليه السلام بالنبي محمد ﷺ.

فلمصلحة من كتب مؤلفنا؟

وهل تبرأ أيادي اليهود من مشاريع الفتنة التي لم تعد خافية على أحد؟

وهل اتضحت الأهداف التي أرادها المؤلف من عبارته هذه؟

وهل كلمة فتنة بمفردها تكفي لوصف أسلوبه وأهدافه؟.

○ ○ ○ ○ ○

الشك

ورد في الصفحة ٢٣ ـ ٢٤، ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ من الكتاب ما حرفيته:

عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كنت نوراً بين يدي الله ﷻ قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته، قال ﷺ: فأهبطني الله ﷻ إلى الأرض في ظهر آدم، وحملني في السفينة في صلب نوح، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قُذِفَ به في النار، ولم يزل الله ﷻ ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة، حتى أخرجني الله من بين أبوي وهما لم يلتقيا على سفاح قط). انتهى نص المؤلف.

في كل صفحة من هذه الصفحات في كتاب المؤلف سطر واحد أو سطرين والباقي حواشي.

نعود إلى ما في الصفحتين ١٥ و١٦ من الكتاب: وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجلّ الأصفياء وأكرم الحبائب. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه.

قيل: هو آدم؟

قال: آدم به أنيله أعلى المراتب.

قيل: هو نوح؟

قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب.

قيل: هو إبراهيم؟

قال: إبراهيم به تقوم حجته على عُبَّاد الأصنام والكواكب.

قيل: هو موسى؟

قال: موسى أخوه ولكن هذا حبيب وموسى كليم ومخاطب.

قيل: هو عيسى؟

قال: عيسى يبشّر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب.

قيل: فمن هذا الحبيب الذي ألبسته حلة الوقار وتوّجته بتيجان المهابة والافتخار ونشرت على رأسه العصائب؟

قال: هو نبي استخرته من لؤي بن غالب يموت أبوه وأمه ثم يكفله جده ثم عمه الشقيق أبو طالب. (انتهى نص المؤلف).

سأعود وأذكر أن كلمة قال تعني الله ﷻ وكلمة قيل: تعني الملائكة عليهم السلام.

من يقرأ هذا الحديث النبوي الشريف، وهذا الحوار الذي نسبه المؤلف لله ﷻ ولملائكته عليهم السلام، يجد نفسه حائراً أمام قصده من خلق هذا التناقض بين ما جاء في الحديث النبوي الشريف، وما جاء في حوار الله ﷻ مع الملائكة.

فالرسول ﷺ حسب الحديث، كان نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، وهذا النور يسبّح الله وتسبح الملائكة بتسبيحه، فالملائكة إذاً على علم بهذا النور كما ورد في الحديث الشريف الآنف الذكر، وكذلك فقد عرض الله ﷻ فخر الرسول على الأسياء وأخبرها بمنزلته فكيف إذاً بالملائكة عليهم السلام.

وبالعودة إلى الحوار الذي ساقه المؤلف بين الله ﷻ والملائكة ماذا نجد..

يقولون: هو آدم... إلخ فيقول آدم... إلى آخر الفقرة، كما أوردنا حتى يصل الملائكة إلى عيسى عليه السلام ثم يتوقفون عن تعداد الأنبياء، وكأنهم انتهوا من تسمية جميع الأنبياء والرسل الذين يعرفونهم، فيسألون الله ﷻ.. فمن هذا الحبيب؟

فيجيبهم هو نبي استخرته من لؤي بن غالب.. دون أن يسميه لهم باسمه.

أهكذا يعرض الله ﷻ مشيئته على الملائكة؟

وأين المريب في ذلك؟

فما دام الملائكة يعرفون هذا النور قبل خلق آدم بألفي عام ثم عرفوا آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ولم يبق إلا نبي المسلمين محمد ﷺ من هذه السلسلة الطاهرة فكيف لم يعرفوه؟

ولماذا لمّا عادوا وسألوا الله ﷻ عن هذا الحبيب، أجابهم مفسراً حسبه ونسبه دون أن يسميه وكأنه بهم لن يعرفوه لو سماه لهم؟

ومع كل هذا ما زلت أتساءل:

لماذا أسهب المؤلف بالسرد التسلسلي الذي اتبعه وكيف وصل إليه حديث الله ﷻ مع ملائكته بهذا القالب، وما هي الحكمة من غياب اسم النبي محمد ﷺ عن بال الملائكة في تسلسل الأنبياء؟

ألم يتعرف الملائكة على نور النبي محمد ﷺ وقد سبحوا بتسبيحه؟

ألم يكن الملائكة على علم بنبوته وباسمه؟

أأنبأهم الله ﷻ بجميع الأنبياء واستثنى منهم نبيه محمداً ﷺ حتى عجزوا عن الجواب؟

هل كتم الله ﷻ نبوة سيدنا محمد ﷺ عن الملائكة؟

لماذا عرف الملائكة جميع الأنبياء إلا سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، وكأني بهم شاهدوه وعلى جسمه حلة الوقار ومتوّجاً بتيجان المهابة والافتخار وقد نُشِرَتْ على رأسه العصائب ولم يعرفوه، مع أن الله ﷻ قد عرض فخره على الأشياء كما أورد المؤلف، وهل الأشياء أولى من الملائكة بمعرفته؟

يحار الذهن في متابعة القصد من كل ما أورد المؤلف، ومن الأسلوب الذي اتبعه في نقل حوارات عن الله ﷻ لم نسمعها من غيره.

وإن كان لدي بعض الشكوك حول الدوافع الكامنة وراء ذلك فلست بقادر على إيرادها، لأن الدين إيمان مطلق بالثوابت الإلهية وكأنها اليقين بعينه.

وكوني لم أتوصل لإثبات شكوكي، فلن أحاول الافتراء أو الوقوع في إثم الظن، تاركاً للراسخين في العلم التعليق على أسئلتي التي طرحت.

○○○○○

إسرائيليات لا تخفى

جاء في الصفحة ٢٩ من الكتاب ما يلي:

عن عطاء بن يسار عن كعب الأحبار قال: علمني أبي التوراة إلا سفراً واحداً كان يختمه ويدخله الصندوق فلما مات أبي فتحته فإذا فيه: نبي يخرج آخر الزمان، مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام... إلخ. (انتهى نص المؤلف).

لست أدري لماذا أخفى والد كعب الأحبار عن ولده السفر الذي يحتوي البشارة بمولد النبي محمد ﷺ ما دام موجوداً في سفر من أسفار الكتب السماوية الذي هو التوراة، وكلنا يعلم أن اليهود في الحجاز كانوا ينتظرون مولده ليتَّبعوه ويستقووا به على العرب كما كانوا يقولون.

فكيف يؤمن الوالد بهذا السفر وفي نفس الوقت يخاف على ولده من الاطلاع عليه أو المجاهرة بما يحتويه؟

فإن كان قرأ ذلك فعلاً في سفر من أسفار التوراة، فما هي الحكمة من إخفائه ما دام الأمر فيه لله ﷻ، وهل أن كتمانه عن ولده يلغي ما أراد الله أن يكون؟

ستجدون لهذه الفقرة مئة تفسير وتفسير، ومع ذلك لن أتطرق لها في بحثي هذا لخروجها عن إطار البحث الذي نحن بصدده.

وبما أن البحث يدور حول عبارة نبي يخرج آخر الزمان مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام، فقد تجاوزت ما عداها حتى لا يتسع البحث، ويبتعد عن مناقشة آراء المؤلف وأهدافه التي هي موضوع الكتاب.

وبالعودة إلى النص الذي بين أيدينا نجد كعب الأحبار يقول بوضوح: لا

لبس فيه أنه قرأ هذا النص في سفر من أسفار التوراة بعد موت والده، ويا ليتني أدري أو يدري أحدكم أي سِفر من أسفار التوراة نص على حرفية هذه الجملة، فإن صح ما يقول يجب أن نجدها، سيّما وأنها منزلة في كتاب من الكتب السماوية، والكتب السماوية لا تحتمل التشكيك فكل ما يُنقَلُ عنها يجب أن يكون مطابقاً لما فيها لفظاً وتركيباً.

وكعب الأحبار لم يقل استوحيت من التوراة كذا وكذا، إنما قال: وجدت في السفر ـ الذي زعم أن والده كان يخفيه في الصندوق ـ الجملة الآنفة الذكر.

لم أجد في جميع أسفار التوراة عبارة نبي يخرج آخر الزمان مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام، وإن كان القسم الأول من الجملة يندرج تحت عبارة: كلمة حق يراد بها باطل، فإن القسم الثاني الذي هو وسلطانه بالشام، فلا التوراة ذكره ولا العقل يقبله، وما أورده إلا لعدة أهداف عقائدية وسياسية ستطرق إليها تباعاً.

فالعبارة إذاً ليست موجودة في التوراة، إلا إذا أضافها أحدهم في المستقبل إثباتاً لصحة ادِّعائه، وفي جميع الأحوال ستبقى ضمن إطار التحوير للتوراة، ولا غرابة لدينا في ذلك وأصحابها مَنْ قَصَدَهُمُ الله ﷻ بالذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

وتعميماً للفائدة وتبياناً للحقيقة، وجب علينا ذكر حرفية ما جاء في التوراة بشأن نبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، مع العلم أنه يوجد مبشرات أخرى فيها وجميعها لا تنطبق نصاً وتركيباً مع ما جاء به المؤلف، وكما نعلم جميعاً فإن التوراة قد طالها التحريف لذا وجب علينا ألا نستند إليها إلا بما تطابق مع القرآن الكريم، وهذا ما فعلته في بحثي الذي بين أيديكم.

فماذا نجد في التوراة؟

وكيف وردت البشارة بنبوة سيدنا محمد ﷺ فيها؟

جاء في الفصل الثامن عشر من سفر تثنية: اشتراع ما يلي:

١٧ ـ قال لي الرب قد أحسنوا فيما قالوا. ١٨ ـ أقيم لهم نبياً من بين

إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم ما آمره به. ١٩ ـ وأي إنسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي فإني أحاسبه (أطالبه) عليه. ٢٠ ـ وأي نبي طغى (تجبر) فقال باسمي قولاً لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة أُخَر فليقتل ذلك النبي. ٢١ ـ وإن قلت في نفسك كيف يعرف القول الذي لم يقله الرب. ٢٢ ـ فإن تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب بل لطغيانه (لتجبُّره) تكلم به النبي فلا تخافوه.

أوردت بعض الكلمات بين مزدوجين لأن التوراة كما تعلمون ليست عربية، وتعريبها أورد ما في النص في نسخ وما بين المزدوجين في نسخ أخرى.

لنبدأ بتفصيل ما جاء في التوراة توصلاً لمعرفة النبي الذي بشّرت به.

نبياً من بين إخوتهم:

إبراهيم عليه السلام أبو إسماعيل وأبو إسحاق عليهما السلام وهما أخوة، ونسب سيدنا محمد ﷺ يعود إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإسحاق عليه السلام جدّ من أجداد اليهود.

فعبارة من بين إخوتهم تنطبق على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

مثلك:

الله عز وجل يخاطب سيدنا موسى عليه السلام، وكلمة مثلك تفيد التشابه فما هو هذا التشابه؟

فسيدنا موسى عليه السلام نبي، وكذلك فقد أُنْزِلَ عليه كتاب وهو صاحب شريعة.

وسيدنا محمد ﷺ نبي، وقد أنزل عليه كتاب وهو صاحب شريعة.

وهنا يتضح أمامنا التماثل بين النبيين عليهما صلوات الله وسلامه، إذاً المقصود بمثلك هو سيدنا محمد ﷺ.

توعّدت التوراة هذا النبي إذا قال ما لم يأمره الله به أن يقوله بالقتل، وقد عصم الله عز وجل سيدنا محمداً ﷺ.

فهل من شك أن الذي جاء في التوراة على نحو ما ورد آنفاً يقصد به سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه؟

سأستدرك الوضع قبل أن يسأل سائل منكم أو لا تعلم أن التوراة قد طالها التحريف؟

فأجيب: بلى، وما أكثر الآيات في القرآن الكريم التي تثبت ذلك، ولكن هل التحريف يعني الإلغاء؟

طبعاً لا، بل يجب علينا والحالة هذه أن نتبين الأصيل من البديل، والصحيح من المحرّف، ومن أصدق من القرآن الكريم لنحتكم إليه في مثل هذه الحالة؟

ففي سورة الحاقة يقول تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فسبحان الله العزيز الكريم الذي سلّمه وعصمه من الناس في أكثر من مناسبة لصدق نبوته كما أمر الله رب العالمين.

وبما أن الرسول الكريم لم ينطق مطلقاً عن هوى، وما نطق إلا بما أوحي إليه، فكل ما أوردناه عن التوراة، وأيّده الله ﷻ في القرآن الكريم ينطبق عليه.

ففي حال القبول بما قدمنا، أفلا تجدون في عبارة كعب الأحبار مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام تلفيقاً وزيادة على التوراة، تندرج تحت خانة التحريف وبالتالي الافتراء على الله ﷻ في ما لم يقله؟.

وفي سياق ذلك أسأل: كيف يحق للمسلمين أن يشاركوا في تعميم ما حرف من التوراة، سيّما وأنهم وحدهم من يروّج لهذا التحريف المدرج في مولد المؤلف الذي نحن بصدده حين يقرأونه على المسلمين.

فعبارة وسلطانه بالشام، وحدها تكفي لتأليف عشرات المجلدات لما تتضمنه من تناقضات ومغالطات وأهداف تثير الشكوك حول إدراجها في التداول

الإسلامي، علاوة على ما ذكرنا من الافتراء على ذات الله ﷻ وعلى النبي ﷺ.

(وسلطانه بالشام): هي بيت القصيد في كل ما يقصد كعب الأحبار أن يوصله إلينا، وحسب رأيي لم يتطوع ويورد ما أورد إلا ليدخل هذه العبارة في التداول الدائم لدى المسلمين.

وسلطانه بالشام: كلمتان فقط تردان على لسان قارئ كتاب المولد النبوي الشريف للمؤلف، بسيطتان لينتان على السمع، مراعيتان لأصول السجع المعتمد في هذا الكتاب، فيمر عليهما القارئ مرور الكرام وكأنهما لا تعنياه بشيء.

أما أنا فقد راعني ما تحملاه من الأهداف والتطلعات السياسية والدينية، لذلك سأتوقف معظم كتابي الذي بين أيديكم للتعليق عليهما بما تيسّر لي من العلم، معتذراً من أئمة ديني عن قلّة معارفي أمام قدر علومهم، وبما أن الهدف المبتغى هو تبيان ما يسيء للإسلام فلا ضير من تناولي للموضوع، مع التنويه بقلة علمي بالنسبة لعلماء أمتي لذا أرجو أن يقبل مني عملاً بقول الشاعر:

استق الحكمة لا يشغلك من ... أي ينبوع جرت يا مستقي

فشعاع الشمس يمتص الندى ... من فم الورد ووحل الطرق

فعبارة وسلطانه بالشام وحدها يندرج تحتها عدة عناوين حرية بالبحث والتفصيل لما فيها من الخطر على الإسلام، وهذا الخطر المستتر في طياتها سيتبين لنا بعد مناقشة عمق التخطيط الذي يعتمده أعداء الإسلام للنيل من الدين الحنيف، وبما أن الأهداف التي أرادها المؤلف لا يمكنها أن تطبق أو يقبل بها المسلمون لو أدرجت واضحة في علومهم الدينية، لذلك عمد إلى التمويه بدقة متناهية، وأوردها في كلمتي وسلطانه بالشام.

والمهم أين أوردها؟

لقد أوردها كما نرى في كتاب المولد النبوي الشريف، ذلك الكتاب الموجود في المكتبات الإسلامية بنسخ متعددة ولمؤلفين كُثُر، وكونه يتعلق بالنبي محمد ﷺ، فترى المسلمين يتهافتون على قراءته في مناسباتهم للتبرك

به، مع العلم أنه ليس بالفرض ولا بالسنّة، ومع كونه كذلك تجده من مصادر ترسيخ الإيمان لديهم كونه يتناول مولد وفضائل الرسول الكريم.

لذلك نرى أعداء الإسلام استغلوا انتشاره ككتاب ديني وعملوا على إدخال أفكارهم التي تخدم مصالحهم في بعض النسخ، فأخذها المسلمون في مكتباتهم وابتدأوا يتعاملون بها عن حسن نية وصلاح إيمان، فرسخ ما فيها في أذهانهم حتى أصبح وكأنه من أركان عباداتهم، فتجد مثل هذه الكتب تتضمن السيرة النبوية الشريفة مقرونة ببعض الأدعية والابتهالات، يندفع نحوها القارئ والسامع دون الانتباه لما يتخلّلها من مقاطع أدخلت فيها بطريقة ذكية خفية فيتجاوزها دون الانتباه إليها، وبالتالي يتعود على قراءتها وسماعها مرة بعد مرة فترسخ في ذهنه ويتأقلم معها فتصبح مضامينها وكأنها الحقيقة بعينها.

بعد هذه التوضيحات الموجزة نعود ونسأل ما هي العناوين المستخلصة من كلمتي وسلطانه بالشام؟

- هل يصح اعتبار النبي محمد ﷺ صاحب سلطان؟
- ما علاقة وسلطانه بالشام بتغيير القبلة عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام؟
- ما هو مفعول الزمان باعتبار سلطان النبي محمد ﷺ بالشام؟
- ما هو مفعول المكان باعتبار سلطان النبي محمد ﷺ بالشام؟
- ما هو حكم حياة النبي محمد ﷺ من هذا السلطان؟
- ما هو حكم حياة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من هذا السلطان؟
- ما هو حكم الدولة العباسية من هذا السلطان؟
- ما هو حكم المسلمين خارج الإطار الجغرافي لبلاد الشام من هذا السلطان؟
- ما هو الهدف من حصر هذا السلطان في بلاد الشام؟

○ ○ ○ ○ ○

هل يصح اعتبار النبي محمد ﷺ صاحب سلطان؟

إن الله ﷻ بعث ملوكاً وليسوا بأنبياء كطالوت، حسب ما جاء في الآية ٢٤٧ من سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾.

وكذلك فقد جمع جلّ جلاله بين الملك والنبوة في عدد من أنبيائه كداود وسليمان عليهما السلام وغيرهم.

ففي الآيتين ٧٨ و٧٩ من سورة الأنبياء يقول تبارك وتعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

فهل انطبق مثل هذا الجمع للملك والنبوة في شخص نبيّه محمد صلواته وسلامه عليه؟

فبالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن الحق تبارك وتعالى لم يعط للرسول ﷺ ملكاً كالذي أعطاه لداود وسليمان وغيرهم، لذلك نعتبر خلو القرآن الكريم من هذا التخصيص بمثابة نفي قاطع لصفة الملك عن النبي محمد ﷺ من الله ﷻ يقطع الجدل حول هذا الموضوع ويلغي البحث فيه أو المجادلة بصدده.

ولو عدنا لحياته صلوات الله وسلامه عليه نجده رفض الملك وفكرة

الملك في بدء الرسالة عندما عرض عليه من قومه واختار ما أمره الله ﷻ وأعرض عن الملك والسلطان.

فمن أين له السلطان وهو ليس عليهم بمسيطر، حسب القرآن الكريم. ففي سورة الغاشية يقول ﷻ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

ومن أين له السلطان وهو ليس عليهم بوكيل، لقوله تعالى في الآية ٤١ من سورة الزمر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

وهل هو إلا البشير والنذير بين يدي صاحب الملك كما أمره الله ﷻ في الآية ٥٦ من سورة الفرقان: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾.

وهل الطاعة التي أمر الله ﷻ بها عباده لملك الرسول وشخصه المجرد أم لدعوته لله ﷻ؟

ففي الآية ٨٠ من سورة النساء يقول ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾.

فالرسول لا يُطاع إلا بإذن الله تعالى كما يبين ذلك الحق تبارك وتعالى في الآية ٦٤ من سورة النساء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾.

فما هو إطار هذه الطاعة؟

أهي طاعة إيمان وتشريع أم طاعة سلطان؟

سأذكر أكثر الآيات التي تأمر بالطاعة للرسول ﷺ في القرآن الكريم والتي ورت فيه حسب التسلسل التالي:

سورة النساء: الآيات (١٣ ـ ١٤ ـ ٥٩ ـ ٦٩). آل عمران: الآيات (٥ ـ ٣٢ ـ ٧٢). الأنفال: الآيات (١ ـ ١٣ ـ ٢٠ ـ ٧٢). التوبة: الآية (٧١). الجن: الآية (٣٣). الأحزاب: الآيتان (٣٦ ـ ٧١). الحجرات:

الآية (١٤). المائدة: الآية (٥٥). المجادلة: الآية (١٣). النور: الآية (٥٢). الفتح: الآية (١٧).

لو تدبرنا هذه الآيات البينات لوجدناها جميعاً تأمر بالطاعة لله ﷿ ولرسوله ﷺ طاعة إيمان بالله ﷿ وبرسالة نبيّه صلواته وسلامه عليه، ولا أثر للملك أو السلطان فيها.

فعلى كل حال سنعود قليلاً إلى الوراء ونذكر بأن عبارة: وسلطانه بالشام: نقلت عن التوراة على لسان كعب الأحبار، وقد أعطى مشكوراً سلطاناً للرسول ﷺ ثم جاء القرآن الكريم ونزعه منه.

أفلا نجد مفارقة في هذا التناقض الوارد في كتابين من كتب الله ﷿؟

فكيف يمكن أن يكون كعب الأحبار صادقاً فيما نسب إلى الله ﷿ أنه أنزل وسلطانه بالشام في التوراة، ثم يأتي القرآن الكريم ويحرمه من الملك والسلطان، وبما أن القرآن الكريم يخالف ما قاله كعبكم هذا فلا ظلم ولا افتراء إذا نعتناه بالملفق، وتباعاً لذلك سقطت معه عبارة وسلطانه بالشام بكاملها.

وإن سقطت هذه العبارة على نحو ما بيّنّا ولكننا لا نزال مضطرين لاستعمالها لنعالج ما بقي بين أيدينا من العناوية التي يجب أن تعالج على النحو الذي وردت فيه على لسان المؤلف.

○ ○ ○ ○ ○

ما علاقة «وسلطانه بالشام» بتغيير القبلة عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام؟

كان الرسول ﷺ يولي وجهه في صلاته في بداية الدعوة نحو المسجد الأقصى في بيت المقدس إلى أن جاءه الوحي وأمره أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام، وقد نجد ذلك في القرآن الكريم بعد تلاوة الآيات ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ من سورة البقرة.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

وكذلك الآيات:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

من يقرأ الآيات البيّنات الواردة أمامنا يجد أن الحق تبارك وتعالى بعدما أمر بنقل القبلة إلى المسجد الحرام ذكر لنا نوعين من العباد ممن سيتناولون الموضوع بالشك وعدم الرضى ألا وهم السفهاء والذين أوتوا الكتاب، ويؤكد ﷻ بأن الذين أوتوا الكتاب لن يتبعوا قبلة الرسول ﷺ.

فمن هم الذين أوتوا الكتاب وما شأنهم بالأمر؟

فجميعنا يعرفهم.

وأين يوجد المسجد الأقصى أولى القبلتين الشريفتين؟

المسجد الأقصى في بيت المقدس، وبيت المقدس في فلسطين، وفلسطين بطبيعة الحال جزء من بلاد الشام التي هي عنوان الجدلية القائمة بين أيدينا.

والذين أوتوا الكتاب هم اليهود الذين أكّد لنا الله ﷻ أنهم لن يتبعوا قبلة الرسول ﷺ، فهل ينتهي الوضع على ما هو عليه عندهم أم أنهم سيتدخلون فيه كعادتهم بدافع من مصالحهم ولو أدى ذلك إلى مخالفة ما أمر به الله ﷻ.

طبعاً لن يسلموا بما أمر الله ﷻ، فالله ربهم ويعلم ما في صدورهم لذلك نبّه منهم.

ورغم نزول الوحي بتغيير القبلة إلا أن اليهود وجدوا في تغيير القبلة عن المسجد الأقصى موضوعاً مناسباً لبث سمومهم ضد الرسول ﷺ، وخلق الشكوك في نفوس أصحاب الدين الحنيف، فتوافد بعضهم على الرسول ﷺ محاولين إقناعه بالعودة إلى قبلته الأولى، لما يضفي عليهم ذلك من الروح المعنوية من جهة، ولمآرب سياسية سنتناولها بالشرح في مباحث عديدة لاحقة من هذا الكتاب.

وبالطبع فإن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يستمع لهم كونه لم ينتقل بوجهة صلاته عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام إلا بأمر إلهي أوحى به الله ﷻ إليه في القرآن الكريم، ومن أحرص من الرسول على تطبيق القرآن الكريم وتنفيذ آياته؟؟!.

ولما عجز اليهود عن تنفيذ مآربهم استعملوا خبثهم المعهود وجاءوا بعبارة وسلطانه بالشام، حتى تنصبّ أنظار المسلمين إليها كمقر لسلطان النبيّ محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ففشلهم مع الرسول ﷺ لم ينه المشكلة عندهم بل حاولوا إقناع المسلمين بقدسية أرض الشام، حاضنة سلطان رسولهم حسب زعمهم، فلم يجدوا أنسب من عبارة وسلطانه بالشام، فتبنّوها كآية منزلة في التوراة الذي يؤمن به المسلمون ككتاب منزل، إيمانهم بالقرآن الكريم، وبذلك يحركون الشكوك في أنفسهم ويزعزعون إيمانهم بالتناقض الحاصل بين الكتابين السماويين.

ومع الأسف فإن قصدهم هذا لن يتحقق على الأقل عند من يعرف أن يتدبر الكتب التي تقع بين يديه، وأما الشيء الوحيد الذي نجحوا فيه هو استغلال الضعف العلمي عند بعض المسلمين ولا أقول الضعف الإيماني فنشروا بين أيديهم مثل هذه الأفكار في الكتب الدينية الإسلامية، مستخدمين بذلك المسلمين أنفسهم للترويج لضلالاتهم وأهدافهم ـ عن حسن نية ـ بعدما تمكّنوا من دسّها في كتبهم الدينية.

○ ○ ○ ○ ○

ما هو مفعول الزمان
باعتبار سلطان النبي محمد ﷺ بالشام؟

ما أكثر الآيات في القرآن الكريم التي يخاطب الله ﷻ فيها رسله مبيّناً أن دين الإسلام هو دين الحق قبل أن يبعث محمداً صلوات الله وسلامه عليه فهو دين إبراهيم عليه السلام، ففي الآية ٦٧ من سورة آل عمران يقول تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾، وكذلك الرسل من بعده إلى أن جاء خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه فكان أول من أسلم من أمته كما يقول الحق تبارك وتعالى في آخر الآية ١٤ من سورة الأنعام: ﴿. . . قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

فلا جدال إذاً في قدم الإسلام كأول الأديان السماوية وأشملها، وما رسالة سيدنا محمد ﷺ إلا تتمة لما سبقها من الرسالات السماوية.

والذي يؤكد ذلك هو أمر الله ﷻ في الآية ١٣٦ من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

فهذا التكليف الشامل يؤكد الإطار العام الذي يجب على المسلم اتباعه ليصلح إيمانه، وكذلك فإنه يرسم إطار الزمان للدين الحنيف.

فلو استقلت رسالة سيدنا محمد ﷺ عما سبقها من الرسالات السماوية، لما ألزم الله ﷻ عباده المسلمين باتباع جميع الرسل سواسية وكل ما أنزل عليهم من الكتب كإيمانهم بالقرآن الكريم.

بعد هذا نجد أن المؤلف لم يتناول الإسلام كدين في مقولته، بل اختصر منه عصوراً كثيرة، وتناول نبوّة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه محدّداً لها مكان السلطان في بلاد الشام.

وبكل أسف سأضطر لمجاراة المؤلف والسير معه حيث يريد لأتمكن من دحض مزاعمه، لذلك سأختصر معه الزمن وأنتقل وإياه إلى دولة بني أمية في بلاد الشام وأناقشه بادّعائه.

فدولة بني أمية هي صاحبة السلطان الوحيد في بلاد الشام منذ فجر الإسلام إلى استقلال سوريا الحديث العهد والتي لا تغطي دولتها الحالية كامل أرض بلاد الشام، إذاً وبلا شك فإن المؤلف يقصد بسلطانه هذا سلطان دولة بني أمية، ومن منّا لا يعلم ما دار حول نشوء هذه الدولة من اضطرابات ونزاعات وملاحم استشهادية طالت أهل بيت النبي ﷺ.

وبالتالي نستطيع أن نستنتج أن قتل أهل بيت النبي محمد ﷺ وكأنه من ضمن صلاحيات سلطانه في بلاد الشام، إذا صدقنا ما أدرجه المؤلف عن سلطان الرسول ﷺ فيها؟

فهل يقبل العقل هذا المنطق أو هذا السلطان؟

ففي مطلق الأحوال، لن أدلي بكامل رأيي في موضوع دولة بني أمية، ولست ممن يؤيدها أو يخالفها، ولكني أقرأ التاريخ بموضوعية تامة، بعيداً عن التعصب والانفعال، وقد بنيت رأيي هذا من الكتب التاريخية التي تناولت حياة بني أمية من الجاهلية إلى سنة ١٣٢ هجرية تاريخ زوال دولتهم، علماً بأنني أبديت إعجابي الذي لا أخفيه باثنين منهم، هما معاوية الثاني كشاهد من أهل البيت، وعمر بن عبد العزيز كرمز لأعدل وأزهد خليفة ممن عرفهم الإسلام.

ولنتأكد من أهلية سلطان الشام في حمل راية الدعوة بعد الرسول ﷺ، وجب علينا إجراء بعض المقارنات لما كانت عليه الدعوة في عهد الرسول ﷺ وما آلت إليه في عهد بني أمية، وبالطبع لا نستطيع أن نورد المقارنة على كل الأمور بل سنكتفي بعرض مثال واحد فقط علّه يغني البحث عن غيره:

- كان الرسول ﷺ يبعث رسله إلى الملوك ومعهم كتبه التي كانت تعنون بعبارة (من محمد رسول الله إلى... أسلم تسلم...) إلخ.
- هدف واضح تمام الوضوح لا يحمل إلا الدعوة الصريحة للإسلام في مقدمة الكتاب، فالهدف الأول هو نشر الدعوة الإسلامية، فما أسمى الهدف وما أجلّه.

أما في عهد الدولة الأموية فكيف كانت تُعَنْوَن بعض الكتب المرسلة إلى الملوك؟

لنأخذ مثالاً عن هذه الكتب ونتذكر معاً كتاب قتيبة بن مسلم، الذي حمله وفده برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي إلى ملك الصين لما قصدها غازياً.

فماذا تضمن كتاب هذا الفاتح العظيم؟

وهل حمل في سطوره ذكراً للدعوة الإسلامية؟

أم أنه حلف ألا ينصرف عن الصين، حتى يطأ أرضها، ويختم ملوكها، ويعطى الجزية؟

وكلنا يعلم قصة الصفائح الذهبية المملوءة بتراب الصين، وأولاد الملوك الذين ختمهم، والنفائس التي نالها لتحله من قسمه والعودة عن الصين إلى مرو.

فلو كان سكان الصين في ذلك الزمان من أهل الكتاب، لألحقناهم بأهل الذمة وقبلنا إلى حد ما ما قام به قتيبة بن مسلم، أما وأنهم مشركون فقد يختلف الأمر في طريقة التعامل معهم.

فهل هذا ما تقيّد به قائدنا العظيم؟

وأين أثر الدعوة الإسلامية في قَسَمِ قتيبة؟

أتساءل أيضاً: عن السبب الذي دفع موسى بن نصير إلى ضرب طارق بن زياد بالسوط وعزله لما لحق به في الأندلس؟

ولماذا لم تسمح الخلافة الأموية لجيوش الأندلس بعدما وصلت إلى فرنسا بمتابعة الطريق لوصل شمالي البحر الأبيض المتوسط بمركز الخلافة في الشام، وممَّا خافت لتأمر بوقف هذا التقدم؟

فلا أجد سبباً لعدم إدراج الأجوبة التي أعرفها على هذه التساؤلات إلا لأنني لا أريد الدخول في تحليل سلبيات الدولة الأموية، خاصة تلك التي لا تنطبق مع مبادئ الإسلام الحق الذي ساد في عهد الرسول ﷺ، فاضطررت لطرح هذه الأسئلة دون الإجابة عليها، لأقطع الجدل حول ما قاله كعب الأحبار عن السلطان للرسول ﷺ في بلاد الشام ليس إلا، فكان من واجبي أن

أظهر بعض التناقضات بين ما اتبعه رسول الله ﷺ في فتوحاته وما اتبعه بعض الخلفاء الأمويين في فتوحاتهم.

وبذلك أستطيع أن أجزم بأن الدولة الأموية لا تعبر إلا عن سياستها الخاصة بها، وبالتالي لا يمكن إلحاقها بنفس الدولة الإسلامية ـ إذا صح تسميتها بالدولة ـ التي كانت في عهد الرسول ﷺ، وإن كانت تعتبر امتداداً تاريخياً للدولة الإسلامية، ولكنها تختلف عنها في مجال التطبيق الفعلي في أمور كثيرة، وبالتالي فهي في جوهرها لا تعتبر امتداداً فعلياً للدولة الإسلامية التي سادت في زمن الرسول ﷺ.

ومع ذلك لا أنسى بأن دولة بني أمية قدمت الكثير من الإيجابيات للأمة الإسلامية، أهمها الفتوحات الإسلامية التي تمّت في عهدها.

وفي النهاية تقول كتب التاريخ: أن الدولة الأموية بدأت في بلاد الشام العام ٤١ للهجرة ودامت حتى العام ١٣٢ للهجرة، وهذه المرحلة القصيرة محددة البداية والنهاية، وسلطان الشام ينحصر بين هذين التاريخين.

فما حكم ما سبق التاريخ الأول، وما حكم ما لحق التاريخ الثاني؟

وهل أن السلطان الذي يقصده كعب الأحبار لم يكن موجوداً قبل التاريخ الأول وانتهى بعد التاريخ الثاني؟

وهل يستطيع من يتأمل هذه التوضيحات أن يصدق ما قاله كعب الأحبار، سيّما وأن الرسول ﷺ لم يشهد سلطان الشام في حياته؟

فكيف يكون له سلطان لم يمارسه؟

وهل أوكل الله ﷻ لبني أمية هذا السلطان عوضاً عن رسوله الكريم لنصدق زعم كعب الأحبار فيما قال أنه وجده في التوراة، من أن سلطان الرسول ﷺ بالشام؟

بالطبع لا يمكن التسليم بأي من هذه التساؤلات لأن عبارة كعب الأحبار لاغية بحد ذاتها، فلا يحق لأي مسلم الأخذ بها أينما وردت في هذا النص أو في نصوص أخرى.

○○○○○

ما هو مفعول المكان
باعتبار سلطان النبي محمد ﷺ بالشام..؟

أوردنا سابقاً مفعول المكان بالنسبة لليهود بعد أمر الله ﷻ بتغيير القبلة عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام وما أثاروه من جدليات حول ذلك مع الرسول ﷺ، لذلك سنستعرض الآن الإطار العام لمفعول المكان للدين الإسلامي حسب ما جاء في القرآن الكريم، الذي لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وبيّنها، لأن الله ﷻ أكمل لنا ديننا وجعله بعيداً عن أي نقص أو قصور.

ذكر الله ﷻ أم القرى أي (مكة المكرمة) في أكثر من آية من كتابه الكريم، فهي البلد الأمين، وفيها البيت الحرام أو البيت المحرم أو البيت العتيق، وكذلك بكة وما إلى ذلك من الألقاب، ولكن التسمية التي سأركز عليها هي أم القرى. وقبل أن نبدأ الاستنارة بالآيات البيّنات الواردة بشأنها وجب علينا أن نتأكد من منزلتها العظيمة، سيّما وأن بيت الله الحرام موجود فيها، وكذلك فهي مقام إبراهيم وإسماعيل وفيها ولد النبي محمد ﷺ، وما أكثر الأحاديث التي تؤكد مكانتها عنده.

إذاً ماذا في القرآن الكريم بشأن أم القرى، وكيف ينطبق إطار المكان للدعوة الإسلامية انطلاقاً منها.

وإن لم نستطع إدراج جميع الآيات التي ذكر الله ﷻ فيها أم القرى لضيق الكتاب الذي نحن بصدده، فسنستنير بما تيسّر منها داعمين كل مرحلة من المراحل بآية أو أكثر.

فكيف تمت الدعوة ومن أين انطلقت وإلى أين يجب أن تصل؟ فسنرى ذلك مفصلاً في التسلسل التالي من آيات القرآن الكريم:

قال الله تعالى في سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾.

كما ترون فإن آية قم فأنذر أتت بالمطلق، فلا تحديد للمكان ولا تحديد للزمان فيها، وهل يعلم صلوات الله وسلامه عليه من ينذر؟ أو أين سينذر؟ أو كيف سينذر؟

فالله وحده ﷻ صاحب المشيئة وما على الرسول إلا البلاغ.

لذلك سنرى ما جاء في الآية ٢١٤ من سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ وبذلك يكون المنطلق الأول لهذه الدعوة قد تحدّد، بدأ من عشيرة الرسول ﷺ وهذه العشيرة كانت بالطبع متواجدة في أم القرى.

ثم ننتقل إلى ما جاء في الآية ٩٢ من سورة الأنعام والآية ٧ من سورة الشورى ونرى أمر الله ﷻ في ذلك..

ففي الآية ٩٢ من سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩٢﴾.

وفي الآية ٧ من سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾.

بعد قراءة هاتين الآيتين نرى أن إطار المكان بالنسبة للدعوة الإسلامية بدأ يتضح بأمر الله ﷻ، انطلاقاً من نقطة البداية التي هي أم القرى، ثم إلى من حولها.

ولم يسم ﷻ غيرها، إنما خصها بالذكر كمنطلق مكاني واضح، فهي بلا أدنى شك مركز الدائرة التي سيزيد شعاعها يوماً بعد يوم كلما اتسع انتشار الإسلام.

ثم يقول الحق تعالى في الآية ٣ من سورة السجدة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾.

وكذلك في الآية ٦ من سورة يس: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾.

آيتان جديدتان لا تقصدان أم القرى هذه المرة ولا من حولها لأن

أم القرى قد أتاها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولكنهما تخصان من هم أبعد من أم القرى، لذلك فالدعوة بدأت بالاتساع وبدأت الطريق تبتعد أكثر فأكثر عن أم القرى وهذه المرة فإن الإنذار لقوم لم ينذروا وآباؤهم من قبل.

وأي قوم يقصد الله عز وجل بالذين لم يأتهم من نذير وما أكثرهم، بدأ بمن في الحجاز إلى آخر بقعة من بقاع الأرض.

فأين هم هؤلاء القوم الذين يعنيهم الله عز وجل في كتابه؟

وأين المكان الذي يجب أن تصل إليه الدعوة الإسلامية؟

وهل ستصل إلى بلاد الشام حيث أراد الكاتب أن يكون سلطان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وينتهي التكليف عندها؟

أم أن الله عز وجل أراد لها إطاراً أبعد وأشمل مما ذكر المؤلف؟ فالعلم عند الله وحده.

ففي سورة الفرقان الآية الأولى يقول الحق تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾.

وفي سورة الأنبياء الآية ١٠٧ يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

فسبحان الله الذي أتم نعمته على العالمين، وجعل إطار المكان بالنسبة لدعوة نبيه محمد صلواته وسلامه عليه عامة شاملة لكل ما خلق من العالمين، وبالتالي فإنها تغطي كامل بقاع الأرض، ولا يبقى أي جزء من أجزائها إلا ويدخل في رحمة الله من خلال إيمانه برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

بعد هذا التسلسل المأخوذ عن القرآن الكريم هل يحق لأحد أن يحدد إطاراً مكانياً للإسلام أضيق مما أراد الله عز وجل له؟ وهل تكفي بلاد الشام أو غيرها مهما عظمت واتسعت أن تكون بديلاً عن المجال الذي اختاره الله عز وجل لهذا الدين؟

بعدما بيّنّا فضل أم القرى ومنزلتها عند الله تبارك وتعالى ودورها في إطار المكان للدين الإسلامي سنسأل؟

هل انتهى دور أم القرى، أم أن إرادة الله ﷻ لم تنته بشأنها بعد؟

فأم القرى في واد غير ذي زرع، رمال وجفاف وحر، في صحراء قاحلة مترامية الأطراف، تسيطر عليها طبيعة قاسية، ومنها ستنطلق الدعوة الإسلامية، ومنها سيبدأ المجاهدون في سبيل الله طريقهم إلى بلدان العالم، فمنهم من يصل إلى ضفاف النيل والفرات، وسيحون وجيحون، ومنهم من يصل إلى إيوان كسرى وقصور بيزنطية، ومنهم من سيعيش أحلام بغداد، وآخرون سيصلون إلى ربوع الشام والأندلس، وما في كل هذه الأماكن من النعيم ورغد العيش، مما قد يشغلهم عن نقطة انطلاقهم في أم القرى وما فيها لولا حكمة الله.

فهم مسلمون، وقد كتبت عليهم الصلاة، فإلى أين سيتجهون في صلاتهم؟

هذا ما يحدده أمر الله في سورة البقرة الآية ١٥٠: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

تكليف إلهي أبدي لا جدال فيه، خمس مرات في اليوم سيتوجه فيها المسلم المصلي شطر المسجد الحرام في أم القرى لتأدية صلاته أينما كان في رحاب العالم أجمع، فلا قبلة غير المسجد الحرام، ولا توجّه لغيره، فنعم القبلة ونعم الأرض التي تحتضن هذه القبلة.

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.... فالله ﷻ أعلم بمراده، علّنا نتّعظ ونتدبّر ما بين أيدينا في القرآن الكريم.

فهل نجد دوراً لبلاد الشام في هذه الآيات، وهل خفي على ما يراه بعضكم، أم أننا نعترف معاً بالتلفيق الوارد عن المؤلف والذي يبتدعه خياله خدمة لأغراض مشبوهة، هدفها الأول والأخير الإساءة للرسول ﷺ ولدينه وأمته؟

في مطلق الأحوال نعود مرة أخرى لنقول: لم ينته بعد دور أم القرى

بعدما وصل المسلمون إلى ما وصلوا ودال لهم ما دال من العالم، فمنهم من ولد في أم القرى، ومنهم من زارها وشاهدها، ومنهم من لا يعرفها، والكل سواسية عند الله ﷻ ما دامت تجمعهم التقوى، فيخاطبهم الله تبارك وتعالى في الآية ٩٧ من سورة آل عمران قائلاً وعز من قائل: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

سيعود من انطلق مجاهداً إلى نقطة المبتدأ، وليس وحده هذه المرة، بل ومن معه ممن استنار بنور الإسلام في كافة بقاع الأرض، تنفيذاً للركن الخامس من أركان الإسلام، الذي هو حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، والاستطاعة هذه تيسير من الله ﷻ لا تلزم إلا من يملك القدرة لذلك كما تعلمون.

وحج البيت الحرام في أم القرى ليس توجُّهاً عن بُعد كما في الصلاة، بل حضور بالجسد والقلب والجوارح كافة تلبية للشعائر الدينية المفروضة في كتاب الله ﷻ على من استطاع من المسلمين.

قبل أن أختم هذا العنوان يجب أن أذكر بما جاء في كتاب الله ﷻ في الآية ٢٨ من سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾.

فسبحان الله الذي طهر هذا المكان، وأوكل إلينا مهمة إبعاد المشركين عنه، فهل ما زلنا أهلاً لهذا التكليف، وهل أن مشيئة الله ﷻ بمساعدتنا تنطبق على أمة متخاذلة مثلنا؟ وبما أن الله ﷻ وحده يعلم ما سيؤول إليه حالنا فقد ذكر جلّ وعلا عبارة إن شاء، وكم أتمنى أن تشملنا مشيئته، وتعمنا رحمته ونحن على عتبة مأساة هائلة تُحاك ضد العالم الإسلامي بأجمعه.

فمن تدبر هذه الآية يجد أن الله تعالى أمرنا بمنع المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام كونهم نجس، والنجس لا يجب أن يقترب منه لقدسيته.

فهل أمرنا أمراً مشابهاً لأي مكان غيره؟

طبعاً لا لأنه لا يوجد أقدس منه، ومع كل قدسيته فقد سلخه المؤلف عن سلطان النبي محمد ﷺ، وأبعد هذا السلطان عنه إلى بلاد الشام.

فاستعيدوا في ذاكرتكم يثرب.. وخيبر وحصون وقلاع آل القينقاع وبني قريظة وغيرهم علّكم تصلون إلى الحكمة من هذا الإبعاد.

لذلك أرجو أن أكون قد وفيت سلطان الإسلام حقه في إطار المكان الذي لا حصر له ببقعة معينة من الأرض، فهو من الشمولية بحيث يغطي العالم أجمع.

إذاً، لست ممن يؤيدون المؤلف بهذا التخصيص الذي ساقه في كتابه للسلطان في بلاد الشام، كما أنني لست ممن يقبلون بتجاوز ذكر أم القرى والترويج لسلطان للإسلام لا يشتمل عليها.

فأي سلطان أعظم وأبهى من وقفة الحجيج في عرفة، الذين يباهي الله ﷻ بهم أمام الملائكة؟

وأي عزّ تصل إليه كل الأرض أمام عزّ الكعبة المشرّفة ومن حولها الحجيج ملبّين هاتفين بصوت واحد: لبّيك اللهم لبّيك.

فيا أهلي في بلاد الشام اعذروني إذا قلت: ما أصغرنا وأصغر العالم أمام صرخة تضرُّع مؤمنة في ربوع مكة المكرمة.

وبالنتيجة لا بد لنا من الوقوف على الأسباب والدوافع الكامنة وراء مقولة كعب الأحبار وخلفياتها السياسية، لأنه من غير الممكن أن يكون قد وضعها بمتناولنا بالصدفة.

فمن يعرف أطماع إسرائيل في بلاد الشام لا يجد صعوبة في التوصل إلى الأسباب التي دفعت بكعب الأحبار لابتداع هكذا عبارة والترويج لها.

وبما أنني سأتناول أهداف عبارة وسلطانه بالشام، في مبحث لاحق، لذلك سأكتفي بما ذكرت عنها في الوقت الحاضر لأعود إليه في حينه.

○○○○○

ما هو حكم
حياة النبي محمد ﷺ من هذا السلطان؟

لن أورد تفصيلاً لحياة الرسول ﷺ من يوم ولادته حتى يوم وفاته، لأنها معروفة بوضوح لدى السواد الأعظم من المسلمين، ولكن سأتناول العلاقة بين مقولة وسلطانه بالشام، وحياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وسلطانه بالشام أتت على لسان المؤلف خاصة متلاصقة بذات الرسول ﷺ، فبدأت بمولده، ثم بهجرته ثم بسلطانه، إذاً هي تعنيه شخصياً.

فأين الرسول ﷺ من بلاد الشام؟

أتى الرسول ﷺ إلى بلاد الشام ضمن قوافل تجارية، وكان ذلك قبل نزول الوحي عليه، وأما بعد نزول الوحي، فلم يطأ أرض الشام إلا ليلة الإسراء والمعارج وتحديداً المسجد الأقصى.

إذاً إلى أين وصل الرسول ﷺ في حياته بعدما بعث نبياً؟

لن أُعدّد جميع غزوات النبي محمد ﷺ في هذا المجال، إنما سأذكر أقرب الأماكن التي وصل إليها صلوات الله وسلامه عليه من بلاد الشام في غزواته.

كانت غزوة تبوك آخر غزوات الرسول ﷺ، وتبوك هذه بلد حجازي وتبعد عن بلاد الشام (٥٠٠كلم) تقريباً، والغريب في الأمر أنه صلوات الله وسلامه عليه توفي بعد هذه الغزوة وقبل وصول الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام.

وهنا يبدأ التناقض من جديد...

فكيف مارس سلطانه بالشام؟

ومن أناب الله ﷻ عنه ليمارس سلطانه؟

وهل يعني ذلك أن موته صلوات الله وسلامه عليه قبل الفتح الإسلامي لبلاد الشام لم يترك له مجالاً لرؤية سلطانه الموعود فيها؟

أم أن دعوته في شبه الجزيرة العربية كانت خارج إطاري الزمان والمكان لسلطان الإسلام؟

فألف سؤال وسؤال يدور حول هذه النقطة بالذات وكلها لا نستطيع الإجابة عليها لأننا لا نجد لها تفسيراً إلا في مخيلة المؤلف.

فيا أيها المسلمون، ثقوا تماماً بأنه ليس مقبولاً ما في هذا الكتاب، الذي تحتويه مكتباتنا ككتاب محمود، يتناقله الأئمة ويشيعونه بين المسلمين.

فبربكم عودوا إلى كتاب الله ﷻ الذي يعارض ما جاء في مثل هذه الكتب، فما الذي يدفعنا للعمل بها وهي تخالف ما أمر به الله ﷻ، وأعود وأكرر لكم مرة ثانية أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وأنتم طبعاً لستم كذلك لأن الإيمان الذي يملأ جوارحنا لا يتعدى أن يكون صنيع أئمتنا فأنتم القدوة التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه.

فالمسلمون المؤمنون ليسوا بأغلبيتهم فقهاء ونقَّاداً ومفّسرين، بل تتراوح درجات علومهم من العالم المثقف إلى الأمي الذي يعتمد على ما يسمعه من غيره ليرسخ إيمانه ويمارس شعائره الدينية.

فإذا لم نتيقّن من الكتب التي ستقع بين أيدي المسلمين، يمكن للعامة أن تقع في شرك الكتب المدسوسة، ولا يمكن تبرئة العالم أو المثقف من تضليل هؤلاء المؤمنين.

○ ○ ○ ○ ○

*

ما هو حكم
حياة الخلفاء الراشدين ﭫ من هذا السلطان؟

أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

تولّوا خلافة المسلمين بعد موت النبي ﷺ حتى قيام الدولة الأموية في بلاد الشام.

أوّلهم: أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الراشدين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، ووالد زوج رسول الله ﷺ.

وثانيهم: عمر بن الخطاب الفاروق الذي كان الرسول ﷺ يتضرع إلى ربه ليعز به الإسلام.

وثالثهم: عثمان بن عفان ذو النورين، زوج اثنتين من بنات رسول الله ﷺ، وأسخى المسلمين في تجهيز جيوش الإسلام.

ورابعهم: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم من الفتيان، وزوج فاطمة الزهراء ﭬ، وأبو الحسن والحسين ﭬ، حبيبا رسول الله ﷺ، وريحانتا شباب الجنة.

عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، الحسن والحسين ﭫ ماتوا قتلاً، فكيف قُتلوا، وما هي الدوافع التي أدت إلى قتلهم، ومن هي الأيدي الخفية التي خططت للقيام بذلك؟

أظنكم تعرفون، لا بل تعلمون، فإن حضر الآن في أذهانكم عبد الله بن سبأ وأمثاله لأدركت بأنني لن أستطيع أن أزيد شيئاً على معلوماتكم، بل أتمنى أن أعلم ما تعلمون.

بعد عبارة وسلطانه بالشام وجدت نفسي مضطراً للتفتيش عن دور هؤلاء الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ضمن إطاري الزمان والمكان من هذا السلطان، فوجدتهم خارجه.

وإن كان الفتح الإسلامي قد وصل في أيامهم إلى بلاد الشام ولكن مركز الدولة آنذاك بقي في ربوع الكعبة المشرّفة والمدينة المنوّرة.

فلن أعود للتحليل والتعليل بشأن زمان خلافة هؤلاء رضوان الله عليهم، لأنني أجدهم في ذات الظروف مع رسول الله ﷺ، وما قيل عنه ضمن إطاري الزمان والمكان ينطبق عليهم، وقد وفينا هذا الموضوع حقه في أكثر من مكان.

وفي النهاية لا بد من السؤال عن صحة خلافتهم، كونها ابتدأت وانتهت قبل السلطان في بلاد الشام، وبالطبع إذا سلمنا بصحة ما ذكر المؤلف تكون خلافتهم قد مورست خارج إطاري الزمان والمكان لسلطان الشام وبالتالي خارج السلطان الذي أراده المؤلف.

وكما سقطت عبارة وسلطانه بالشام في العناوين السابقة، فإنها تسقط حكماً في العنوان الذي نعالج، لعدم صدقيتها وانطباقها على واقع خلافة هؤلاء الخلفاء رضوان الله عليهم.

○○○○○

ما هو حكم
الدولة العباسية من هذا السلطان؟

من الناحية التاريخية بدأت الدولة العباسية بعد زوال الدولة الأموية وانتقل مركز الخلافة من الشام إلى بغداد.

إذاً هي كغيرها لجهة انطباق مفهوم إطاري الزمان والمكان عليها، ولكنني اضطررت لإدراجها منفردة تحت عنوان خاص بها لما لها من تأثير على الإسلام لجهة دوامه أو زواله..

فلو سلمنا بما يقول المؤلف، لوجدنا أنفسنا بعد خروج السلطان من بلاد الشام، وكأننا نعينا سلطان الإسلام الذي خصه المؤلف بأرض دون سواها، فبخروج هذا السلطان من بلاد الشام، يتوقف التاريخ، وتنتهي الرسالة، ويتلاشى الإسلام الذي فقد أرض سلطانه.

فكيف يبقى والأرض الجديدة ليست أرضه، والزمان ليس زمانه، ففي هذه المرة سيذهب إلى غير رجعة، خلافاً للمرات السابقة التي كان يصبو فيها إلى أرض سيادته.

بعد ذلك ألا تجدون مرة جديدة أن عبارة وسلطانه بالشام تحمل نقضها في طياتها، وتلغي نفسها بنفسها بعدما تبين أن التحديد المكاني انتهى وحل محله مكان آخر، وهذا المكان انتهى بدوره إلى أن نصل إلى يومنا هذا والإسلام بحمد الله لا يزال موجوداً وفي اتساع مستمر بعون الله.

فما أدهى من كتب هذه العبارة وما أظلم من يرددها من بعده وما أصغر من يصدق مثل هذه الأضاليل.

ooooo

ما هو حكم المسلمين
خارج الإطار الجغرافي لبلاد الشام؟

لا بد لنا تحت هذا العنوان من طرح السؤال التالي...

هل يستطيع سلطان الإسلام في كامل العالم الإسلامي من استيعاب بلاد الشام؟

أم أن سلطان الإسلام في بلاد الشام يستطيع أن يستوعب العالم الإسلامي؟

فإذا سلمنا بالاحتمال الأول نكون قد وفينا الإسلام والمسلمين حقهم أينما وجدوا في العالم.

وإذا اقتنعنا بالاحتمال الثاني وجارينا المؤلف نكون قد ألغينا المساواة بين المسلمين، ودخلنا في دائرة التفضيل الذي لا يقره الدين الحنيف، وبالتالي فقد حرمنا غالبية المسلمين المنتشرين خارج الإطار الجغرافي لبلاد الشام من حقهم الطبيعي في الانضواء تحت راية الإسلام المحصورة ببلد دون سواه.

إذاً لماذا حصر المؤلف السلطان ببلاد الشام؟

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة الآية ٤٧: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾.

ثم يقول جل جلاله في سورة المائدة الآية ٦٤: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾.

يتضح من الآية الأولى أن الله ﷻ فضل بني إسرائيل في يوم من الأيام على العالمين.

وفي الآية الثانية يلعنهم وما أكثر الآيات التي تبين غضب الله عليهم.

ففي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تبين رضى الله ﷻ عنهم، ثم غضبه ولعنه إياهم ومسخه لبعضهم، ولكننا اكتفينا بذكر الآيتين آنفتي الذكر لتوضيح حقيقة اليهود بنظر الله ﷻ.

فهل اقتنع اليهود بأن الله مقتهم ولعنهم وغضب عليهم؟

بالطبع لا، فهم يعتبرون أنهم ما زالوا شعب الله المختار، وهم من وجهة نظرهم أفضل أمم الأرض، وما باقي الخلق إلا ليُسخَّر لخدمتهم.

إن هذا التفضيل الذاتي الذي يؤمنون به أورثهم الصلف والتيه والكبرياء المقيتة، فباتوا أعداء العالم أجمع، وتأكيداً لذلك سنراجع تاريخهم الحافل بالسبي والتنكيل، فمن السبي البابلي إلى السبي الروماني، إلى عداوتهم للمسيحية والإسلام، إلى مواقف الساسة والمفكرين منهم كهتلر وبنجامين فرنكلين وموقف أغلب دول العالم منهم إبان تواجدهم السابق فيها، إلى وضعهم الحالي بين الدول العربية.

فالتاريخ إذاً يضج بغدرهم والتنكيل بهم أينما وجدوا، ولا يتسع الوقت ولا المناسبة لتفصيل المآسي التي صنعوها لأنفسهم، ولكننا سنتعظ منها للدخول فيما يفيدنا للنص الذي نعالج.

فإن صح ما يزعمون من أنهم شعب الله المختار (وبالطبع فهو حالياً خطأ حسب القرآن الكريم) فهم محسودون من العالم، وما أعظم شر الحسد، وإن كان العكس (وهو الصحيح) فهم متكبرون، وما أبغض المتكبرين، وفي الحالتين يمقتهم العالم طبعاً، فلا الحسد سهل ولا التكبر مقبول.

وكلي ثقة بأنهم يعرفون مفاعيل ما هم فيه، لا بل أنهم خبروه عن يقين، وعلموا ما ألحق بهم هذا التفضيل الذاتي من ويلات بين أمم العالم أجمع.

لذلك نراهم ابتدعوا عبارة وسلطانه بالشام لإيقاع أهل الشام في نفس

تجربة التفضيل التي عاشوها أنفسهم، وبحصر السلطان ببلاد الشام، يتكبر الشامي، ويحسده من هو خارج أرض الشام.

كيف لا والوصفة مجربة لديهم، وقد عانوا منها ما عانوا في تاريخهم، فوصفوها لنا من أجل الفرقة بين أهل الشام من جهة وباقي الأمة الإسلامية من جهة أخرى.

وأما الهدف من ذلك فهو تسهيل قيام دولة إسرائيل الكبرى المزعومة على كامل أرض بلاد الشام كما سنرى عند بحث المقصود من حصر السلطان ببلاد الشام.

وأحمد الله لأنني من بلاد الشام، وإلا لما تجرأت وتناولت هذا الموضوع فأتهم بالحسد وبما أنني لا أتبناه فلن أتهم بالتكبر.

○○○○○

ما هو الهدف
من حصر السلطان في بلاد الشام؟

لم ألمس من المؤلف صدق الكتابة في تناوله للسيرة النبوية الشريفة، بل على العكس فقد ظهر جلياً في كتابه عداؤه للإسلام والمسلمين في أكثر من موضع من كتاب المولد النبوي الشريف الذي أعده لنا، وما يؤكد قولي هذا إلا المغالطات التي أوردها في متن كتابه، وكذلك عمق التخطيط اليهودي الصهويني الطاغي على مجمل الكتاب، وما العناوين الكثيرة التي استخلصت من عبارة واحدة أوردها، والتي هي وسلطانه بالشام، إلا الدليل القاطع على اعتماد المؤلف التضليل والتمويه لتمرير الأفكار التي تخدم قضيته والتي لا أستبعد أنها الصهيونية بعينها.

فما هو الهدف من عبارة وسلطانه بالشام وما هي خلفياتها السياسية والدينية؟

للدخول في تحليل الهدف من هذه العبارة، وجب علينا الوقوف على خلفيتها الدينية أولاً والسياسية ثانياً.

١ ـ الخلفية الدينية:

أ ـ محاربة انتشار الإسلام كدين شمولي بربط سلطانه ببلاد الشام كإطار جغرافي محدد لا يجب أن يتعداه، وبالتالي يتوانى من هم خارج هذا الإطار الجغرافي ممن اقتنعوا بعبارة وسلطانه بالشام عن الدخول في الإسلام وكأنه لا يعنيهم بدعوته، وبذلك يكون كعب الأحبار قد حقق حلماً يهودياً قديماً طالما عبرت عنه ممارساتهم العدائية للأديان السماوية عبر التاريخ وأيدتها بروتوكولات حكماء صهيون في العصر الحديث، ولمن يرغب في زيادة معلوماته حول هذا الموضوع يمكنه الاطلاع على ما جاء في البروتوكول السابع عشر بهذا الخصوص.

ب ـ الإيحاء بتفضيل دولة بني أمية، وبالتأكيد ليس حباً بالأمويين، بل من أجل إثارة الفتنة بين المسلمين، خاصة بين بيتي قريش من بني هاشم وبني عبد شمس سيَّما وأن واضع عبارة وسلطانه بالشام يعلم ما بين هذين البيتين من تنازع على سيادة قريش في الجاهلية وعلى الخلافة في الإسلام، وطبعاً لكل بيت منهما أتباعه ومؤيدوه، فبذلك يعم التنازع السواد الأعظم من المسلمين ممن يؤيدون هذا البيت أو ذاك.

وإذ عدنا إلى ما رافق نشوء دولة بني أمية من أحداث يتضح لنا أكثر فأكثر عمق النزاع على السلطة الذي تركه نشوء هذه الدولة في الأمة الإسلامية، مما يؤكد لنا أن عبارة وسلطانه بالشام ليست من التوراة ولكنها أدرجت بفعل فاعل لهدف من الأهداف التي أتناولها في معرض البحث الذي بين أيديكم.

فلو احتوت التوراة هذه العبارة لكنا وجدنا ما يؤيدها في القرآن الكريم، لأنه هو دستور المسلمين وإليه يعودون في كل أمورهم الدينية والدنيوية، وقد أنزل على نبيهم، فكيف تأتي التوراة بما يهم عامة المسلمين ولا يؤيده القرآن الكريم؟

ومرة أخرى تسقط نسبة هذه العبارة إلى التوراة ويتأكد لنا بسقوطها أن أيدي أعداء الإسلام هي التي وضعتها في كتبهم الدينية. وبالرغم من خطورة الهدفين السابقين اللذين مرا تحت عنوان الخلفية الدينية لهذه العبارة فإن أهداف الخلفية السياسية أدهى بكثير مما مر معنا.

٢ ـ الخلفية السياسية:

يندرج تحت هذه الخليفة هدفان أساسيان، الأول معجل، والثاني مؤجل.

أ ـ **الهدف المعجل**: أدى غدر اليهود بالرسول ﷺ وعداؤهم له وكذلك نقضهم لعهوهم معه إلى محاربته لهم وإلى طردهم من ديارهم، إن من يثرب وخيبر وإن من حصون بني قينقاع وبني قريظة وغيرها، وطبيعي إن آلمهم ذلك وحنُّوا للعودة إلى ديارهم، ولكن كيف سيتمكنون من ذلك والمسلمون يسيطرون على أرض الحجاز مهد إسلامهم؟

وما هي الوسيلة التي ستعيدهم إلى ديارهم؟

لم يجدوا وسيلة أسهل من توجيه أنظار المسلمين إلى بلاد الشام كمقر لسلطان نبيهم حسب زعمهم، فتطوع كعب الأحبار لهذه المهمة وأوجد عبارة وسلطانه بالشام، عله يستطيع أن يقنع مسلمي الحجاز بها فيتهافتوا إلى مقره في بلاد الشام، وبذلك تزيد فرص نجاحهم في العودة إلى الديار التي تركوها.

ب ـ **الهدف المؤجل**: إن هذا الهدف هو الأخطر بين جميع الأهداف التي ذكرت لأنه يدور حول قيام دولة إسرائيل الكبرى التي ينادي بها اليهود منذ السبيين البابلي والروماني.

ـ كلنا يعلم بمقولة أرض الميعاد لدى اليهود، وإيمانهم بها وعملهم خلال العصور الماضية لتحقيق هذا الحلم، لذلك لست مضطراً لإعادة شرحها وتحليلها وما يهم منها هو الإطار الجغرافي لهذا الحلم القديم الجديد.

تمتد حدود دولة إسرائيل المزعومة حسب مفهوم اليهود من الفرات إلى النيل، فأين تقع بلاد الشام من هذه الدولة؟

نلاحظ أن كامل بلاد الشام تقع ضمن الإطار الجغرافي لهذه الدولة المزعومة، وهي بكليتها هدف للاحتلال الإسرائيلي في حال العمل على تحقيق إنشاء دولتهم المزعومة.

ـ فكيف يستطيعون أن ينفذوا هدفهم وبلاد الشام يحتضنها عالم إسلامي مترامي الأطراف؟

لذا وجب علينا الاعتراف بحقيقة أن الشعب اليهودي يجيد التخطيط لما يريد أن يفعل، وإلا لما استطاع النفاذ إلى عالمنا الجغرافي وتأسيس نواة دولته المزعومة فيه، ولكن كيف له أن يتوسع فيها بأقل خسائر ممكنة؟

فتسهيلاً لهدفهم هذا وجدت عبارة وسلطانه بالشام لعزل بلاد الشام عن باقي الأمة الإسلامية، بتفضيلهم بهذه العبارة كما ذكرنا سابقاً ـ بوصفتهم المجربة عليهم ـ وبذلك يتكبر الشامي على باقي الأمة الإسلامية، ويحسده غيره من المسلمين فيقع في فخ البغضاء المنصوب له من كعب الأحبار إذا اقتنع بمقولته.

فإذا نجحوا في إدخال الكراهية بين الأمة الإسلامية وبين بلاد الشام، يسهل عليهم الاستفراد بها وبالتالي إنشاء دولتهم المزعومة على أرضها دون أن تهب كامل الأمة الإسلامية لنصرتها، وإن تحقق لهم ذلك تكون حربهم محدودة وخسائرهم أقل وفرص نجاحهم أكبر كلما صغر حجم العدو الذي يحاربون.

ـ نعم إن عبارة وسلطانه بالشام ليست صدفة وليست بسيطة كما يظن البعض، فهي العنوان المستتر لعدة أهداف أقلها الحرب على الإسلام.

ـ وختاماً سأذكر بأن العبارة التي بين أيدينا نقلت عن كعب الأحبار وهو يهودي أصلاً اعتنق الإسلام فيما بعد، ومن يتابع ظروف إسلامه يقع في الحيرة لتناقض الكتب وتضارب الأمكنة والأزمنة التي أسلم فيها.

والذي يعزز هذا الشك عندي ما سأضعه بين يدي القارئ الكريم من حديث كعب الأحبار المدرج في الصفحتين ٢٩ و٣٠ من كتاب المولد الذي نناقش.

(الحديث الثاني) عن عطاء بن يسار عن كعب الأحبار قال: علمني أبي التوراة إلاسفراً واحداً كان يختمه ويدخله الصندوق، فلما مات أبي فتحته، فإذا فيه: نبي يخرج آخر الزمان، مولده بمكة، وهجرته بالمدينة، وسلطانه بالشام، يقص شعره، ويتزر على وسطه، يكون خير الأنبياء، وأمته خير الأمم، يكبرون الله على كل شرف، يصفُّون في الصلاة كصفوفهم في القتال، قلوبهم مصاحفهم، يحمدون الله تعالى على كل شدة ورخاء، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يأتون بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم، وثلث يأتون بذنوب وخطايا عظام، فيقول الله تعالى للملائكة: اذهبوا فزنوهم، فيقولون: يا ربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم، ووجدنا أعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال، غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ. فيقول الحق: وعزتي وجلالي لا جعلت من أخلص لي بالشهادة كمن كذب، أدخلوهم الجنة برحمتي. (انتهى نص المؤلف).

ماذا نجد في النص الذي يقول كعب الأحبار أنه وجده في سفر من أسفار التوراة، وبالطبع فالتوراة كتابه الذي يتبعه ويؤمن به كونه يهودي؟

نبي يخرج آخر الزمان، مولده بمكة وهجرته بالمدينة إلخ وقد تحقق ذلك.

يكون خير الأنبياء ـ وأمته خير الأمم ـ قلوبهم مصاحفهم، والثلث الأول والثاني والثالث جميعهم يدخلون الجنة حسب ما كتب.

فما دام كعب الأحبار قد قرأ كل هذا في التوراة، فلماذا لم يسلم عندما دعاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه للإسلام ولماذا لم يتبع خير الأنبياء، ويصبح من أمة هي خير الأمم، وبذلك يضمن الجنة حسب ما وجد في التوراة على لسانه؟ ولماذا لم يسلم إلا بعدما أتى إلى القدس وحمص وأسلم في بلاد الشام حسب بعض المصادر، وفي المدينة حسب البعض الآخر بعدما سمع أحدهم يقرأ الآية ٤٧ من سورة النساء حسب الأقاويل؟

فهل أسلم اقتناعاً منه بالإسلام أم لغاية في نفسه فلست أدري؟ وكل ما أستطيع قوله بعد التسليم بأن بعض الظن إثم فكذلك فإن سوء الظن من حسن الفطن.

○ ○ ○ ○ ○

أوصاف لم يقرها القرآن

ورد في آخر الصفحة ١٦ وأول الصفحة ١٧ من الكتاب في وصف النبي محمد ﷺ ما يلي: فجري الجبين، ليلي الذوائب، ألفي الأنف، ميمي الفم، نوني الحاجب. . . . . إلخ.

وفي الصفحات ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨ تطغى الصفات المادية على مجملها ولا يتسع المجال لذكرها كونها كثيرة جداً.

ـ جميع هذه الصفات صفات مادية، وهذه المرة ليس كاتبنا وحده من يستعملها، لأنني قرأت لغيره ما يشابهها وجميعهم لم يستندوا بنقلها عن مرجع مؤكد ككتاب الله ﷻ ولكنهم اندفعوا جميعاً من طريق عاطفي صرف على الأقل إذا سلمنا بخلو نيتهم من الأهداف المستترة.

فلو أراد الله ﷻ خيراً من هذه الصفات لرسوله الكريم، لأوردها في القرآن الكريم، كما أوحى جل جلاله بمثلها في سورة يوسف عليه السلام.

ـ ولكن مشيئة الله ﷻ بشأن سيدنا محمد ﷺ لم تكن من هذا القبيل، وما أكثر الآيات في القرآن الكريم التي يصف ﷻ مزايا نبيه فيها، وسنكتفي بالاستنارة بالقليل منها.

ففي الآية ١٥٩ من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾.

وفي الآية ٤ من سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

وفي الآيات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢ من سورة التكوير ١٩ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾

وفي الآية ٥ من سورة المعارج: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾.

ـ جميع هذه الآيات البينات لا تتناول مادية شكل الرسول ﷺ، ولكنها تتناول طباعه وخلقه وعقله وصبره وقوته وأمانته وكرمه ولين طبعه ورقة قلبه وتسامحه وعدم تسلطه.

فكما نلاحظ لا وجود للماديات في جميع هذه الصفات، فهي صفات معنوية أرادها الله ﷻ أن تزين شخص الرسول ﷺ، لكونها صفات ممكنة الاكتساب وهي بعكس الصفات المادية التي أرادها الله ﷻ أن تكون عامل تمييز بين البشر لا عامل تفضيل، وبالتالي فهي صفات شخصية لا يمكن اكتسابها.

ومن يركز على الجمال والوسامة كعامل تفضيل أظنه يقترف أعظم الأخطاء لأن الصفات الخلقية هي المسؤولة عن تهذيب النفس وسموها وصلاح إيمانها.

وبما أن الرسول ﷺ أسوة حسنة لنا كما جاء في الآية ٢١ من سورة الأحزاب: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾ فقد عدد الله ﷻ مناقبه وصفاته التي يمكننا أن نحذو حذوه فيها وأهمل ما عداها لحكمة فيما يشاء.

وكون الرسول ﷺ أسوة حسنة بات لزاماً علينا الاقتضاء به، فهل نستطيع أن نقتدي بوسامته أم بصفاته الخلقية؟

فالاقتضاء بالوسامة مستحيل على عكس الاقتضاء بالصفات الخلقية الممكنة التطبيق ولو بجزء يسير منها، فمن لا يسطيع الوصول إلى ما كان عليه الرسولَ ﷺ ـ وهذا مؤكد بالطبع ـ يستطيع أن يحقق بعض ما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه.

إذن لا فائدة من الاسترسال في تفصيل وسامة سيدنا محمد ﷺ لأن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في ميزان الدعوة التي بعث من أجلها.

فلما قيل لعلي بن أبي طالب ؓ وهو كما نعلم من خير صحابة رسول الله ﷺ، وأكثرهم معرفة به، صف لنا رسول الله ﷺ؟ أجاب: كان أحسن الناس خلقاً وخُلقاً، ولم يزد على ذلك.

وهذه الإجابة إن دلت على شيء إنما تدل على ما يليق قوله عن الرسول ﷺ.

أما الباقون الذين يسترسلون بالوصف كمؤلفنا وغيره، فلا أعلم قصدهم ولا أُقرُّ بطريقتهم.

وأخشى أن يكون سبب اندفاعهم هذا هو محاولة التأثير على من يتلهون بالقشور والمظاهر، والذين حرموا نعمة فهم روح الإسلام، خاصة ممن خلت نفوسهم من الإيمان بقدسية الرسالة التي حملها سيدنا محمد ﷺ وبقيت في أذهانهم ماديات الأصنام وأشكالها، فاستعملوا الوصف المادي لاستمالتهم ـ هذا إذا سلمنا بسلامة نيتهم ـ والله أعلم.

○○○○○

هل هذه سنن؟

جاء في الصفحة ٢٩ من الكتاب نبي يخرج آخر الزمان مولده بمكة وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام، يقص شعره ويتزر على وسطه: (انتهى نص المؤلف).

وبالعودة قليلاً إلى الوراء نتذكر أن كعب الأحبار قال: أنه وجد هذه الجمل في التوراة، وإذا صح ما يقول فلا بد أن الله ﷻ قصد حكمة معينة من إدراجها في كتاب سماوي، لأنه جل وعلا لا يدخل حشواً كلامياً في كتبه، وكل ما يأتي به له أسبابه الموجبة.

وبالمناسبة لا بد من التذكير بما جاء في التوراة بشأن البشارة بسيدنا محمد ﷺ كما أوردنا في مبحث سابق وكما مر معنا فإن البشارة به خلت من الصفات المادية وركزت على ما يقول بأمر الله ﷻ.

ثم نعود للقرآن الكريم ونفتش فيه عن هذه الحكمة من قص الشعر والاتزار على الوسط للرسول ﷺ فلا نجدها، وتنتابنا الحيرة لوجودها في التوراة وعدم وجودها في القرآن الكريم، مع أنها تخص بالذات من أنزل عليه القرآن سيقول أحدكم: ما هو تأثير عدم ذكرها في القرآن الكريم إذا كانت موجودة في التوراة؟

فأجيب: إن نزولها في كتاب سماوي يجعلها ملزمة لمن تعنيه بالدرجة الأولى، وبما أن من تعنيه أسوة حسنة لأمته، فبات لزاماً على هذه الأمة أن تقتضي به، وبذلك يصبح قص الشعر والاتزار على الوسط من السنة.

وتباعاً لذلك كان من الواجب أن نجد في الحديث والفقه تحديداً لطول الشعر، والأمكنة المقصودة بالقص، وكيفية الاتزار على الوسط، وما إلى ذلك حتى لا يبقى شيئاً غامضاً حول هذا الموضوع.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد أن القرآن الكريم تناول في الآية ١٩٦ من سورة البقرة الحلاقة أثناء تأدية بعض مناسك الحج، ولم يتناول الموضوع بشكله العام.

وأما السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، وإن تناول بعضها قضية قص الشعر، لكنها لم تتطرق إلى موضوع الاتزار على الوسط.

وهنا نسأل المؤلف ومن يؤيده: هل أن من يطول شعره يعتبر تاركاً للسنة؟

وكيف يتم ذلك وما هي أحكامه؟

وكذلك هل يصح أن نعتبر من لا يتزر على وسطه من المسلمين أسوة بالرسول ﷺ تاركاً للسنة النبوية الشريفة أيضاً؟

وهذه الأسئلة لم أبتدعها من مخيلتي، بل فرضها عليَّ المؤلف في كتاب المولد النبوي الشريف الذي نحن بصدد مناقشته، لأنها حسب قوله مأخوذة من كتاب سماوي، أمرنا الله ﷻ أن نؤمن به، فكيف نجد السبيل الصحيح لتطبيقه وكتابنا الذي أنزل على نبينا ﷺ وكذلك سنته المطهرة يخلوان من آلية تطبيقها.

○○○○○

خطايا ميسرة

ورد في الصفحة ٣٠ من الكتاب عن أمة محمد ﷺ ما حرفيته..

ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يأتون بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم، وثلث يأتون بذنوب وخطايا عظام فيقول الله تعالى للملائكة: اذهبوا فزنوهم فيقولون: يا ربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم ووجدنا أعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

فيقول الحق وعزتي وجلالي لا جعلت من أخلص لي بالشهادة كمن كذب، أدخلوهم الجنة برحمتي. (انتهى نص المؤلف).

في قريتي مثل يقول: (يقرأ المكتوب من عنوانه).

والعنوان البارز هنا أن الملائكة عندما تحدثوا إلى الله ﷻ قالوا: يا ربنا ولا عبارة من عبارات الجلالة بعدها.

ثم يقولون: غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

وكذلك لم يقولوا الله ﷻ أو غيرها.

وعندما يذكرون اسم النبي يقرنونه بعبارة ﷺ.

ولما أراد الحق تعالى أن يرد على الملائكة قال وعزتي وجلالي. فشكراً لمن كتب، وشكراً لمن نقل عن الله ﷻ والملائكة، لأنه دحض من بداية الطريق ما كتب بنفسه وأراحني من عناء البحث والتنقيب للرد على مزاعمه، لأنه من غير الممكن على الإطلاق أن تكلم الملائكة الله ﷻ من غير تكليف وباسمه المجرد، ولما تذكر الرسول لا تنسى أن تضيف عبارة ﷺ.

والآن سنعود إلى أمة الجنة وكيف قسمت إلى ثلاثة أقسام متساوية بطريقة حسابية لا تحتمل الشك أو الارتياب ونبدأ المناقشة.

فسبحان الله العلي القدير كيف تمت هذه القسمة، وكيف حسبت وعلى أي أساس استند المؤلف، كيف تتساوى هذه الأقسام، فقسَّم الأمة إلى ثلاثة أقسام متساوية؟

فما دام مؤلفنا يجيد التأليف ولا يلتزم بحدود معينة في كتاباته، فإنني أرى أنه كان من الأفضل له حتى نتمكن من تصديقه أن يقول: قسم منهم، وليس بالتحديد ثلثهم.

فهل كان يعرف عدد الصابرين والتائبين والمسرفين قبل أن يولدوا ويمارسوا حياتهم، ويكتسبوا في الدنيا؟ فلا أحد يستطيع الجزم بما يريده مؤلفنا، وما هي الأحكام التي استند إليها عندما قسم الأمة بالتساوي إلى ثلاثة أقسام.

ففي جميع الأحوال وجب علينا مناقشة ما كتب للوقوف على مدى مطابقتها لما يحتويه الدين الإسلامي.

يقول ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، فلن أناقشه فيه إذا كان أهله من الصابرين لأن الله تبارك وتعالى في آخر الآية العاشرة من سورة الزمر يقول ﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ولا جدال في الثلث الثاني إذا كان أهله ممن دخلوا رحمة الله تعالى وزادت حسناتهم على ذنوبهم وخطاياهم فالله غفور رحيم.

أما الثلث الثالث الذي من الممكن أنه يشمل القتلة والسارقين والزناة والغاصبين والمنافقين والمرائين وغيرهم وغيرهم ممن يرتكبون الذنوب وما أكثرهم في عالمنا الإسلامي في أيامنا هذه. وعلى كل حال سنعود إلى النص ونذكر من حددهم الكاتب فقط.

حدد الكاتب هذا الثلث ممن أسرفوا على أنفسهم، وأعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال.

فالله أعلم بمثواهم وهو العلي القدير.

والمهم في الأمر كيف أدخل الكاتب هذا الثلث الجنة، فلم يدخلهم بالتوبة والعمل الصالح، بل أدخلهم الجنة بمجرد النطق بالشهادتين.

وأظن هنا أن الكاتب استند قصداً إلى الآية ٥٣ من سورة الزمر التي يقول الله ﷻ فيها: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن

﴿رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

كما أظنه أهمل قصداً ما يليها إلى آخر السورة والتي تأمر آياتها، بعبادة الله وحده، والإنابة له، واتباع أحسن ما أنزل منه، والتقوى والشكر لله، وعدم الكفر بآياته، حتى نصل إلى الآية ٧٤ من نفس السورة حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

فنعم أجر العاملين وحدها تغني عن الشرح، لأن العمل بما يرضي الله ﷻ وحده يدخل الجنة، وليس مجرد الشهادة لله وحدها كما أورد المؤلف، فالله جل وعلا قال: نعم أجر العاملين ولم يقل نعم أجر القائلين، فالقول وحده لا يعفي العبد من العمل بما أمر الله ﷻ بل يكمله.

ففي سورة الزلزلة يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

أفلا تنطبق هاتان الآيتان على أمة محمد ﷺ، والكتاب كتابهم وقد أنزل على نبيهم؟ بالطبع هو يعنيهم وما عليهم إلا الامتثال لما أنزل فيه وتدبره آية فآية قولاً وعملاً.

ستسألون ألم يقرأ هذا الرجل قول الله تعالى في سورة النساء الآية ٤٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ...﴾.

فأقول بلى: فهي الحد الفاصل بين الكفر والإيمان، وقد فرقت بين من لم يؤمن بوحدانية الله ﷻ وبين من آمن بها، ودخل قلبه الإيمان بجميع أركانه، كما يدخله الإسلام بجميع أركانه قولاً وعملاً، وما غفران الله ﷻ إلا لمن تاب عن معصية وتركها وندم على ما فعل، وليس لمن ينطق بالشهادة ويستمر بارتكاب الآثام والمعاصي.

فالشهادة بوحدانية الله ﷻ لها شروط ومفاعيل كثيرة لأنها تكليف إلهي ملزم إيماناً وعملاً، ومن لا يطبقها بكامل شروطها، يقع في الشرك.

فما هي شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي تنجي من الشرك؟

لا يسعنا إلا تعداد شروطها فقط دون الخوض في تفاصيلها بسبب طولها وكثرة تشعباتها.

فما هي هذه الشروط؟

- العلم، اليقين، القبول، الانقياد، الإخلاص، الصدق، المحبة.

فمن لم يستطع تطبيق هذه الشروط مجتمعة، لا يعتبر ممن يشهدون أن لا إلٰه إلا الله، ومن الممكن أن يكون مشركاً والله أعلم.

فكيف يكون الشرك بشقيه الأكبر والأصغر كما وضعه العلماء؟

فالشرك الأكبر هو أن تتخذ مع الله ﷻ نداً من دونه وتعبده، وكذلك أن تطيعه في معصية الله، أو تتبعه فيما لا يرضي الله ﷻ، وجميع هؤلاء من المشركين، والمنافقون أيضاً مشركون، وإن كانوا جميعاً ممن ينطقون بالشهادة.

فلن أعلق على الطاعة في معصية الله ﷻ، ولا الاتباع فيما لا يرضي الله ولا على المنافقين، لأنهم الأكثرية الساحقة من الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر، وإلا لما انحدرنا لهذا المستوى الذي نحن فيه لو كنت مخطئاً.

أما الشرك الأصغر، الذي يشتمل على الرياء والحلف بغير الله مثلاً، فهل هو مفقود من الأمة أم أنه يسود معظم مجتمعاتها؟ فبوجود المرائين وأمثالهم والمنافقين وأمثالهم - ولو كانوا ممن ينطقون بالشهادتين - يستحيل اعتبارهم من أهل الجنة حسب وعد الله ﷻ، وبذلك تسقط مقولة كعبنا العزيز مرة أخرى كسابقاتها.

وحتى لو فسرنا هذه الآية الكريمة كما يريد البعض أن تفسر ووقفنا عند عبارة لمن يشاء، لاستخلصنا بأنها لا تعني الشمولية، بل تبقي قسماً من الخطاة خارج الجنة، وبذلك تسقط مقولة مؤلفنا ولو بشخص واحد.

وتأكيداً لخطأ المقولة هذه كما يقصدها المؤلف أسأل؟

ما مصير رجل ينطق بالشهادتين جاءني يوماً فأغتصب مالي ظلماً ولم يرده لي في الدنيا ولم أسامحه على ما فعل، فتوفانا الله ﷻ ولي بذمته ما اغتصبه مني ظلماً.

فهل يعفيه الله ﷻ من القصاص لمجرد نطقه بالشهادتين ويدخله الجنة وأظلم أنا في الدنيا والآخرة؟

كلكم مقتنعون بأن عدالة الله ﷻ لا يظلم فيها أحد، وكلكم يعلم ما لِحَقِّ الغير إن لم أقل دمه أو عرضه خاصة إذا كان مسلماً عند الله ﷻ.

أو لم يوجب الله تعالى القصاص في ظلم العباد بعضهم لبعض، وهل سمع أحدكم عن قصاص في الجنة؟

أو ليس القصاص في جهنم؟

وكيف يقاصص الخطاة ممن ينطقون بالشهادتين ولا يلتزمون بما أنزل الله ﷻ، أفي الجنة مع المؤلف، أم في جهنم حسب وعد الله ﷻ.

وحتى لا يعتمد المسلمون على قول كاتبنا ويحلمون جميعاً بالجنة لمجرد انتمائهم للإسلام، أذكر بأن القرآن الكريم يحتوي على نظام كامل للحياة، منها الروحاني الصرف ومنها المادي، وفيه التحليل والتحريم والتشريع، وكل ما يحتاجه الإنسان ليصلح دينه ودنياه معاً، فكل ما في القرآن الكريم واجب التطبيق حسب طاقة المكلف، فالخير خير والشر شر كما مر معنا سابقاً، وكل شيء له حسابه عند الله ﷻ، فلا توجد آية في القرآن الكريم يمكنكم تجاهلها أو ترك العمل بها إذا كنتم تريدون الجنة كما أراد الله تبارك وتعالى.

فلا تغركم أقوال المؤلف، ولا تلهيكم عن دينكم وعلى كتفيكم ملائكة تدون ما تفعلون، فأكثروا من التشهد ما استطعتم، لأنَّه ركن من أركان دينكم، ولكن إياكم ثم إياكم أن تتواكلوا أو تنسوا أو تهملوا جميع ما جاء به كتابكم الكريم مما يجب عليكم قوله مع الإيمان والعمل به.

وفي آخر النص يدين المؤلف نفسه مرة أخرى عندما يذكر بأن الله ﷻ فرق بين من أخلص له بالشهادة ومن كذب وهذا أمر طبيعي بأن لا يساويهما الله ﷻ في يوم الحساب.

ولكن المغالطة التي ارتكبها المؤلف أنه أوصل ذنوب من أخلصوا بالشهادة لله ﷻ إلى أمثال الجبال.

فهل يعقل أن يسرف المخلص بالشهادة على نفسه، وهل تصل ذنوبه إلى أمثال الجبال إلا ما كان سابقاً لتوبة نصوحة؟

بعد كل ما بينا وفصلنا يتبادر لأذهانكم السؤال الذي لا بد منه حول مصلحة المؤلف من ذلك وما هي فائدته؟

فبالعودة إلى بروتوكولات حكماء صهيون وخاصة البروتوكولين الأول والرابع عشر تجدون تفصيلاً ميسراً للإجابة على كل ذلك، وتتلمسون الأهداف واحداً تلو الآخر فيها، وتجدون كيف ييسرون الخطايا الدينية والدنيوية أمام العالم الذي لا يعتنق دينهم، وستجدون أيضاً تخطيطاً لنشر الفساد في كل الأرض لتقويض الأديان السماوية بإدخال الفحشاء والرذيلة إلى عقول الناس، وبالتالي عندما يستطيعون إبعادهم عن تعاليم الدين، تتفكك مجتمعاتهم ويسهل على اليهود عندها السيطرة عليهم بطرق متعددة موجودة بالتفصيل في هذه البروتوكولات، ويمكن لمن أراد الاستزادة أن يطلع عليها لعدم التمكن من إيرادها بأكملها هنا لضيق الكتاب.

وللتذكير فقط أريد أن ألفت انتباه القارئ أن استنادي على ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون التي نشرت بعد عصر كعب الأحبار بمئات السنين ليس خطأ، لأن هذه البروتوكولات وضعت كتطبيق لنظام عمل الماسونية، والماسونية ظهرت في العام ٤٣م كحركة معادية للدين المسيحي، ومن بعده الدين الإسلامي عندما ظهر.

وفي الختام مسكين هذا الثلث الثالث الذي أوقفه المؤلف أمام دعوة صريحة لارتكاب المعاصي والذنوب والخطايا واتباع النزوات حتى الإسراف، ثم يقف ويحرك لسانه بالشهادتين فيدخل الجنة.

فإذا اقتنع المسلمون بهذا النص لا يبقى الثلث الأخير ثلثاً بل سيزداد يوماً بعد يوم لسهولة دخول الجنة فيه، فتتلاشى بذلك تعاليم الإسلام وتترك أحكام القرآن ولا يبقى من الإسلام إلا الشهادتين، فينعم من قصد إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم بما أنجز تحقيقاً لأهداف اليهود وإرضاء لأحلامهم.

○ ○ ○ ○ ○

*

صدفة أم صك براءة

يقول المؤلف في الصفحة ٢٣ والصفحة ٢٩ من كتابه ما يلي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أول ما نستفتح بإيراد حديثين وردا عن نبي كان قدره عظيماً، ونسبه كريماً، وصراطه مستقيماً، قال في حقه من لم يزل سميعاً عليماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

اللهم صل وسلم وبارك عليه

(الحديث الأول) عن بحر العلم الدافق، ولسان القرآن الناطق، أوحد علماء الناس، سيدنا عبد الله بن سيدنا العباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نوراً بين يدي الله عز وجل... إلخ».

(الحديث الثاني): عن عطاء بن يسار عن كعب الأحبار قال: علمني أبي التوراة.... إلخ. انتهى نص المؤلف.

بشرت التوراة وكذلك الإنجيل بنبوة سيدنا محمد ﷺ كما نجد ذلك في القرآن الكريم، وفي الآية ١٥٧ من سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ...﴾.

وبالطبع فإن الكثيرين من أهل الكتاب يعلمون ذلك سيّما وأنه مكتوب في كتبهم.

كما أننا تناولنا الحديث الذي زعم كعب الأحبار أنه وجده في سفر من أسفار التوراة، ولم نجد له مصدراً يؤكده، فعدنا إلى التوراة ونقلنا ما نعتقد صحته عنها، ووجدنا له تأييداً في القرآن الكريم كما أسلفنا سابقاً، لذلك لن نعود لشرحه في هذه الفقرة.

فلماذا لم يستند المؤلف إلى حديث صحيح عن البشارة بنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟

ولماذا أهمل الراهب بحيراً وورقة بن نوفل وغيرهما مثلاً، واستند فقط إلى ما قاله كعب الأحبار مع كل ما يدور حول حديثه بهذا الشأن من شكوك؟

من وجهة نظري أرى أن المؤلف لم يورد حديث كعب الأحبار في كتابه اقتناعاً منه بصحته، ولكن لأسباب تكلمنا عنها سابقاً وليجمعه بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، كمرجعين وحيدين في كتابه، وطبعاً له أسبابه الموجبة لهذا الجمع.

وهذا ما سنجده في الحديث الذي نقل عن عكرمة وما أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما في الصفحة ٤٤ من الجزء الأول من تاريخ الطبري: قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاء رجل فقال يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر في الشمس والقمر قال، وكان متكئاً فاحتفز ثم قال وما ذاك؟ قال زعم أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم، قال عكرمة فطارت من ابن عباس شفة ووقعت أخرى غضباً ثم قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ إنما يعني دؤوبهما في الطاعة فكيف يعذب عبدين يثني عليهما أنهما دائبان في طاعته، قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله.

انتهى النقل عن الطبري.

أولاً يستحق هذا السبب تطوع المؤلف لجمع عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بكعب الأحبار في كتاب واحد، كمحدثين وحيدين فيه؟

فلا أظن أن المؤلف كان يسعى لإغناء الكتاب عندما استند إلى حديث يشوبه الشك من أحاديث كعب الأحبار، إنما همه أن يعطيه (صك براءة) مما

نعته به ابن عباس رضي الله عنهما، وكذلك وضعه وإياه في صف واحد من صفوف المرجعيات الإسلامية.

كل ذلك بهدف إعادة ثقة المسلمين بكعب الأحبار باعتباره من بين كبار المحدثين في الإسلام، وبالتالي لا ينفر المسلمون من آرائه ويتابعون قراءتها والعمل بها إلى أن يتحقق الهدف الذي يرمي إليه والذي لا يعلمه إلا الله جل جلاله وحده.

○ ○ ○ ○ ○

التجديف

ورد في الصفحة ٣١ من الكتاب:

فاهتز العرش طرباً واستبشاراً وازداد الكرسي هيبة ووقاراً. لست ممن تؤهله معلوماته الدينية التعليق على عبارة فاهتز العرش طرباً واستبشاراً إلا إذا كان المقصود باهتز طرباً تعني رقص كما توحي العبارة باللغة العربية.

فإن كانت كذلك فلا يسعني إلا أن أستغفر الله وأسكت وإن كانت غير ذلك فلا أعلم القصد من ورائها.

لذا سأتناول عبارة وازداد الكرسي هيبة ووقاراً بالشرح. لم ترد الكرسي في القرآن الكريم بالمطلق ولكنها وردت في آيتين منه بالتخصيص، ففي الآية الأولى ألحقت بالله ﷻ وفي الآية الثانية لسليمان عليه السلام وشتان ما بين ما لله ﷻ وما لسليمان عليه السلام.

ففي الآية ٢٥٥ من سورة البقرة يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾.

وفي سورة ص الآية ٣٤: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

ومن خلال النص يتضح أن المؤلف لا يقصد كرسي سليمان عليه السلام بل الكرسي الذي ألحقه الله ﷻ بذاته فما هو الكرسي وما هي ماهيته؟

سئل الرسول ﷺ عن الكرسي فأجاب: «والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة». ونقلت على

غير ذلك عنه ﷺ حيث قال: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»[1].

وفي الحالتين ذكر سعتها التي وردت في القرآن الكريم ولم يتطرق لماهيتها من قريب أو بعيد.

هذا هو الرسول الكريم الذي يتحدث وقد أوتي من الوحي ما أوتي ولم يتطرق لخاصيات الله تعالى بالشرح إلا بما يعلم.

ولكن المؤلف تخطى الرسول ﷺ بفهمه لكنهها فوجدها مخلوقة منذ الأزل ويشوبها النقصان من الهيبة والوقار كما يزعم.

وسنعود للمفسرين الذين فسر بعضهم كرسيه بأنها علمه وبذلك زادوا الطين بلا إذا سلمنا بصدقية ما كتب المؤلف، فعلم الله ﷻ فوق كل كمال ولا زيادة عليه مهما كان نوعها.

وفي جميع الأحوال لا بد من الإقرار بأنها من خاصيات الله ﷻ وما لله وحده لا تشوبه شائبة وكماله كمال مطلق وكذلك علمه فإنه أوسع من أن يزاد عليه.

وكلمة ازداد في اللغة العربية، من زاد، وزيادة، أي نما والزيادة لا تدخل إلا على نقصان، لأن الكامل لا يزيد وإلا لاختل ميزان الكون بأكمله.

وبما أن الزيادة هنا من الهيبة والوقار على إحدى خاصيات الله ﷻ فسأستغفر الله فقط وأترك لأئمة ديني الحكم على هذا المؤلف لأنني أرتعد خوفاً من الله ﷻ كلما حاولت التفكير في توسيع هذه الفكرة التي وصل فيها المؤلف إلى التجديف على العزة الإلهية.

○ ○ ○ ○ ○

*

(١) رواه الأصبهاني في كتاب «العظمة» عن أبي ذر رضي الله عنه.

التناقض المقصود

ماذا في الصفحتين ٣٥ و٣٦ من الكتاب؟

فبينما هو ذات يوم ناء عن الأوطان، إذ أقبل عليه ثلاثة نفر كأن وجوههم الشمس والقمر، فانطلق الصبيان هرباً، ووقف النبي ﷺ متعجباً، فأضجعوه على الأرض إضجاعاً خفيفاً، وشقوا بطنه شقاً لطيفاً، ثم أخرجوا قلب سيد ولد عدنان وشرحوه بسكين الإحسان، ونزعوا منه حظ الشيطان، وملؤوه بالحلم والعلم واليقين والرضوان، وأعادوه إلى مكانه، فنام الحبيب ﷺ كما كان.

ثم ننتقل إلى الصفحة ٣٩ ونتابع الحوار التالي: فقال له الكاهن: يا ابن زمزم والمقام، والركن والبيت الحرام، أفي اليقظة رأيت هذا أم في المنام، فقال: بل وحرمة الملك العلام، شاهدتهم كفاحاً لا أشك في ذلك ولا أضام، انتهى نص المؤلف.

لن أعلق على بعض الكلمات الفارغة من المعنى الديني كسكين الإحسان وغيرها لأنها على ما أعتقد وردت في سياق السجع والتكلف اللغوي ليس إلا.

والتعليق على ما قاله المؤلف يدور كما يلي:

قال ثلاثة نفر هم من شرح بطن الرسول ﷺ وفي جميع الكتب التي وصلت إليَّ والأحاديث التي قرأت حول هذه المكرمة من الله ﷻ لرسوله الكريم وجدت أن ملاكين قاما بذلك لا ثلاثة ملائكة، إلا ما نقل عن نصر بن عبد الرحمٰن الأزدي عن محمد بن يعلى عن عمرو بن صبيح عن ثور بن يزيد الشامي عن مكحول الشامي عن شداد بن أوس أن الرسول ﷺ قال: «فبينا أنا ذات يوم منتبذ عن أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلة إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست... إلى آخر الحديث) وهذا الحديث

وجدته في الصفحة ٥٧٥ من الجزء الأول من تاريخ الطبري ولم أجد ما يؤكده في صحيح البخاري أو مسلم.

فلماذا اختار المؤلف هذا الحديث الوحيد ليستند إليه، مع أن باقي المحدثين حدثوا عن رسول الله ﷺ أن ملاكين فقط قاما بهذه المكرمة.

لست أدري إن كان يجهل عددهم، أم أنه أراد التضليل أو إظهار التناقض حولها، أم أنه يخفي من وراء ذلك ما لم أكتشفه فالعلم عند الله وحده.

ثم يسهب في السرد ويقول، ووقف النبي ﷺ متعجباً. فيحصل معه ما حصل مما ذكر حول هذه المكرمة وينتهي الأمر فيختم المؤلف فقرته بعبارة: فنام الحبيب ﷺ كما كان.

الخبث كل الخبث في هذا السرد المتناقض الذي سنورد أهدافه لاحقاً بعد تحليله.

فوقف متعجباً لا تنطبق إلا على من كان في صحوة تامة وإدراك كلي لما يجري حوله، وهي تؤكد أن الرسول ﷺ لم يكن نائماً عند حصول المكرمة له.

وفي آخر الفقرة يقول المؤلف، فنام الحبيب ﷺ كما كان.

بربكم هل ينطلي هذا التناقض المذهل على ولد في الخامسة من عمره، فكيف يكون نبيكم صلوات الله وسلامه عليه واقفاً متعجباً ونائماً في آن واحد.

وأغرب ما في الأمر أن المسلمين يقرؤون هذا الكتاب بدون أي حرج ولا يلفت انتباههم ما يحتويه من المغالطات المسيئة للرسول ﷺ.

وبالانتقال إلى الصفحة ٣٩ نرى أن الكاهن عندما سأله أفي اليقظة رأيت هذا أم في المنام، يضطره قصداً أن يقسم بحرمة الملك العلام، فلماذا أقسم وهو الصادق الأمين وهل يضطر للقسم من كان يقول الحقيقة إلا إذا خاف أن يشك بكلامه؟

وما هو هدفه من الإيحاء بهذا الشك؟

ولماذا أوجد المؤلف هذا التناقض خاصة وأنه ذكر النوم مرتين في سرد هذه المكرمة؟

لا أجد أي تفسير لأسلوبه هذا إلاتعمده مخاطبة أصحاب النفوس

الضعيفة ليدفعهم للشك بصحة المكرمة كواقعة حقيقية حصلت مع الرسول ﷺ وبالتالي ليزعزع إيمانهم بها ويوحي لهم بأنها مجرد حلم حلم به رسولهم صلوات الله وسلامه عليه.

ولا يمكن القول أنه لم يقصد ذلك كما أنه لا يتحلى بسلامة النية لأنه لو كان كذلك لوجد آلاف الكلمات في اللغة العربية ليعبر بها عن هذه المكرمة غير النوم.

فمن سخرية القدر أن المسلمين هم من يتداول هذا الكتاب ويروج هذه الأباطيل، وهم الضحية لخبث المؤلف وعدم تدقيق القيمين بالكتب التي تُعمَّمُ على المسلمين.

○ ○ ○ ○ ○

الافتراء على الملائكة

(في آخر الصفحة ٣٦ وأول الصفحة ٣٧ نقرأ:

فقالت الملائكة: يا حبيب الرحمٰن لو علمت ما يراد بك من الخير، لعرفت قدر منزلتك على الغير. . . . ومركبك البراق إلى جمالك مشتاق، وجبريل شاووش مملكتك قد أعلن بذكرك في الآفاق، والقمر مأمور لك بالانشقاق. . .) انتهى نص المؤلف.

إن هذه الفقرة وردت حسب المؤلف عن الملائكة عندما كانوا يخاطبون الرسول ﷺ بعد مكرمة الله ﷻ التي نزع بموجبها حظ الشيطان من قلبه.

وللبحث فيها وجب تقسيمها إلى قسمين:

الأول: يتعلق بمملكة الرسول ﷺ.

والثاني: بجبريل عليه السلام.

وبالعودة إلى مملكة الرسول ﷺ فلا لزوم لإعادة التعليق عليها، كون الموضوع أثير تحت عنوان سابق وهو: (هل يصح اعتبار الرسول ﷺ صاحب سلطان) وكما بينا ذلك سابقاً ولا لزوم للعودة إليه مرة ثانية.

بعدما تقدم وجب علينا إلغاء كلمة مملكة إلغاءً كلياً أينما وردت في النص أو في أي كتاب إسلامي آخر عندما يكون الملك فيها للرسول ﷺ، فهو ليس بملك ولا توجد له مملكة.

بقي علينا أن نعلم جميعاً الأسباب الموجبة التي دفعت المؤلف لإنشاء هذه المملكة ما دام القرآن الكريم ينفيها.

ونعود هنا لنوجه له الشكر على وقوعه في هذه التناقضات التي تُسهِّلُ علينا مناقشة ما كتب ودحضه بأيسر الطرق.

فالكاتب لا يهمه ما ينفع الإسلام والمسلمين، ولا فرق عنده إن أيد أو خالف القرآن الكريم، لأن همه الوحيد هو الدخول من حيث تسنح الفرصة، وبث السموم وإثارة الشكوك وخلق عوامل الفتنة بين المسلمين عندما يستطيع ذلك، خدمة لأهداف من كلفه وضع مثل هذه الأفكار في التداول الإسلامي.

وكونوا على ثقة بأني لا أحاول الافتراء على المؤلف أو التقليل من شأنه لأسباب تتعلق بميول مذهبية أو سياسية أو غيرها ولكني أقرأ ما كتب وأحلل ما قصد وكأنني غريب عن الأمة الإسلامية، ولا أحمل بين يدي إلا كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، والعقل الذي منحني إياه رب العالمين.

وما قدمت هذا التوضيح إلا لأنني سأتناول نقطة موضع خلاف بين المسلمين تتعلق بالخلافة، والتي لا أملك رأياً فيها لقصور علمي عن إدراك الأحقية لهذا الفريق أو ذاك.

ولكن المؤلف هو الذي أجبرني على الدخول فيها، كونه استغلها بالذات ليؤجج نار الفتنة بين المسلمين، فكيف كان ذلك؟

تعلمون بأن الملك في المملكة ينتقل بالوراثة ضمن العائلة الواحدة، فكلما نُصِّبَ ملك عُيِّنَ ولي عهده، ولما يموت الملك يصبح ولي العهد ملكاً ويسمي هو بدوره وليه وهكذا دوليك، والمهم أن الملك ينحصر ضمن هذه العائلة تتوارثه من جيل إلى آخر.

وهذا النوع من الحكم كان له أنصاره من المسلمين بعد موت النبي محمد ﷺ، فطالبوا بحصر خلافة المسلمين بأهل البيت يتوارثها أبناؤهم من بعدهم.

وقد برز رأي آخر يناقض الرأي الأول، وينادي أتباعه بمبدأ الأحقية لجميع المسلمين، وتلعب الشورى الدور الأهم فيه وتليها المبايعة، ولا لزوم لشرح التفاصيل لمعرفتها من الجميع.

فما هو دور المؤلف من كل هذا وهو لم يتطرق إليه من قريب أو بعيد حسب مفهوم البعض؟

فلا أجد صعوبة في الإجابة لأنني مقتنع من موقف المؤلف من الإسلام

وأساليبه للنيل منه، فقد نقل عن الملائكة عبارة شاووش مملكتك، والتي تفيد باقتناع الملائكة بالمملكة للرسول ﷺ، وتباعاً لذلك أصبحوا منحازين للفريق الأول ومقرين بأحقية توارثها ضمن عائلة الرسول ﷺ.

فاعتراف الملائكة بهذه المملكة يقوي موقف مؤيديها إذا سلمنا بظاهر الأمور.

والمؤلف يعلم أيضاً أن الفقهاء فيما بعد سينكرون عليه فكرة الملك هذه لعدم ورودها واضحة في القرآن الكريم، وبذلك يصبح الله ﷻ مع فريق وملائكته مع الفريق الآخر، فتختلط الأمور بين الاثنين حسب ظنه ويضيع المسلمون مرة جديدة في جدلية الخلافة، وهذه المرة فإن الله ﷻ وملائكته عليهم السلام معنيون بهذا الخلاف.

وكذلك فإنه يثبت اختلافاً بين الله ﷻ وملائكته حول هذا الموضوع، وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ السؤال التالي:

هل يوجد في أي كتاب من الكتب السماوية مثل هذا الاختلاف؟

وللتوضيح فقط أجيبكم بأن التوراة فقط، التي امتدت إليها أيدي اليهود وأضافت إليها مثل هذه التناقضات، حتى أنكم تجدون فيها أن الله ﷻ يتصارع مع الأنبياء بعدما يأتي إليهم على صورة إنسان كما نجد في سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون (٢٤ ـ فبقي يعقوب وحده. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ٢٥ ـ ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حق فخذ يعقوب من مصارعته معه. ٢٦ ـ وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني ٢٧ ـ فقال له ما اسمك فقال يعقوب، ٢٨ ـ فقال لا يدعى اسمك فيمابعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت). انتهى النقل عن التوراة.

فالذين يقولون أن الله ﷻ يتعارك مع الأنبياء ويتضارب معهم، فلا عجب عندهم إذاً في حصول اختلاف بالرأي بين الله ﷻ وملائكته.

وهذا الشرح الموجز يؤكد ضلوع اليهود أو من ينوب عنهم في تصنيف هذا الكتاب الذي نناقشه.

فانظروا كيف خالف الله ﷻ بطريقة واضحة ثم كيف اتهم الملائكة بالترويج لكلمة مملكة من أجل إيجاد مادة مقبولة للدخول إلى ألباب المسلمين من خلالها وتأجيج نار الفتنة بينهم وزرع الخلافات والأحقاد في نفوس أبناء الدين الواحد.

وبالانتقال إلى الشق الثاني من البحث الذي يقول فيه وجبريل شاووش مملكتك. . .

فمن هو جبريل عليه السلام:

وما كان دوره في رسالة سيدنا محمد ﷺ؟

فجبريل عليه السلام ملاك من ملائكة الله ﷻ، وهو الذي كان ينقل الوحي من الله تبارك وتعالى إلى النبي محمد ﷺ بأمر الله جل وعلا، ولم يكن تابعاً إلا لله ﷻ.

ثم يأتي المؤلف ويوكل إليه وظيفة عسكرية، فيعينه شاووشاً في مملكة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكلمة شاووش ليس كلمة عربية على ما يبدو لأنني فتشت عنها في معاجم عديدة فلم أجد لها أثراً، وأظن أن كلمة شاووش تنطبق من حيث ورودها في النص على كلمة شاويش الرتبة العسكرية التركية الأصل، والشاويش مع الأسف يقع في أسفل التراتبية العسكرية بعد الأنباشي والنفر، وما أكثر الرتب التي تعلو رتبته في هذا التسلسل، فاكتفى له المؤلف بهذه الرتبة لكي يعظم الملك أكثر فأكثر والذي هو سيدنا محمد ﷺ بالطبع.

وإذا جارينا المؤلف وجب عليه أن يدلنا على الباكوات والآغوات والباشاوات والزعماء والوزراء في هذه المملكة التي لم يكن جبريل عليه السلام إلا شاويشاً فيها فقط، فمن عسى أن يكون قوادها بين يدي ملكها؟

فلا أعرف جواباً أرد به على هذا المؤلف الذي لا حدود شرعية أو منطقية لمخيلته، فيتناول العرش ساعة يشاء، والكرسي عندما يريد، والملائكة لمَّا يطيب له، وكأن الدنيا في يمينه كرة يتسلى بها كما يريد.

فجبريل عليه السلام كان له مهمة فوقية بين الله ﷻ في السماء والنبي محمد ﷺ

على الأرض، ولم ينزل يوماً إلى ما دون ذلك، فلم يوظف في أية مملكة من ممالك الأرض، لا في حياة الرسول ﷺ ولا في ممالك سبقته.

وأذكر هنا بأنني لا أحصر دور جبريل عليه السلام بحمل الوحي إلى النبي محمد ﷺ فقط بل لأن الموضوع يدور حول رسالته اكتفيت بدوره حيالها.

وخلاصة القول أن جبريل عليه السلام لم يكن يوماً من الأيام في المملكة المستعارة للنبي محمد ﷺ، ولا يصح وضعه في مثل هذا الموضع حتى إذا كان الهدف هو تعظيم النبي صلوات الله وسلامه عليه.

ففي هذه الجملة افتراء على الملائكة عليهم السلام وهم فوق ما يذكر المؤلف، ولا علاقة للبشر بهم فالله وحده وليهم وإليه تعود جميع أمورهم، حتى عندما أيد عز وجل بهم المؤمنين في قتال المشركين، لم يضعهم بتصرف أحد بل بقيت المشيئة بيده والأمر له وحده بشأنهم.

فكيف ألحق المؤلف ملاكاً بمملكة أرضية، فأضيف تساؤلي إلى ما سبقه من تساؤلات حول أضاليل المؤلف في الفقرات السابقة، وأقول أيضاً لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

○○○○○

الخبث المبطن

يقول الحق ولو كان مراً، ولا يضمر لمسلم غشاً ولا ضراً.

عبارة موجودة في الصفحة ٤٢ من الكتاب والمقصود بها الرسول ﷺ.

ولا يضمر لمسلم غشاً ولا ضراً.. جملة مؤكدة يجب التسليم بها كون الرسول ﷺ لم يكن غشاشاً، وهو صلوات الله وسلامه عليه من يقول: «من غشنا ليس منا» وكذلك لا يحب الضرر لأحد من عباد الله ﷻ.

فهل ينتهي الأمر عند هذا الحد؟

طبعاً لا فمن هنا نبدأ مع مكيدة جديدة ابتدعها المؤلف هذه المرة بطريقة ذكية وموهها تمام التمويه بشكل يصعب اكتشافها فيه إلا لمن يتمعن جيداً بها، وبالضرورة أن يكون قد فقد كامل ثقته بالمؤلف حتى ينتبه لها.

والمكيدة الفخ هي كلمة لمسلم...

وهذه المرة سأتوجه بالسؤال إلى المؤلف نفسه وأسأل:

هل غش الرسول ﷺ المشركين إذا لم أقل أهل الكتاب؟

وهل تحمل منهم ما تحمل لهديهم أم لغشهم؟

فما مقولة لا يضمر لمسلم غشاً ولا ضراً إلا كسابقاتها من الأفكار المشبوهة التي أتحفنا بها المؤلف طيلة الكتاب، ولا يزال يتبنى العبارات المبطنة ليوحي بأن الرسول ﷺ يعفُّ عن غش المسلمين ولا يهمه من عداهم، فمن الممكن أن يضمر لهم الغش ويريد لهم الضرر.

فكيف يتم ذلك وهو لم يرسل لفئة معينة من الناس كما أسلفنا بل أرسل رحمة للعالمين، وهل يعقل أن يجتمع الغش والرحمة في شخصه إلا عند المؤلف؟

فأي مشرك وقع ضحية غش الرسول ﷺ حتى نخصص المسلمين فقط بالأمن من الغش، فمن كان خلقه القرآن كما يقول المؤلف نفسه في الصفحة ٤٠ من الكتاب لا يضمر الغش لأحد حتى عدوه.

فلو قال الكاتب ولا يضمر للعالمين غشاً ولا ضراً لسكت واعتبرته يتناول صفات الرسول ﷺ بما يليق به أن يوصف، أما وقد طمأن المسلمين منه وكأنه حذَّر الباقين بطريقته الخفية فسألحق مقولته هذه بما سبقها من الافتراء والتضليل وأستعين بالله ﷻ عليه وعلى أمثاله.

وقبل أن أختم هذا الكتاب أكرر أمامكم بأنني لست فقيهاً لأكتشف كل ما جاء به المؤلف، ويمكن أن تكون مداركي قد تخطت عن غير قصد بعض النقاط الهامة التي يجب التنبيه من خطورتها، ولكني لم أكتشفها لقصر معلوماتي في هذا المجال، وكون الله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وسعها، فما قدرت على فهمه تناولته بالبحث، وأرجو الله تبارك وتعالى أن أكون قد وفيت ما تناولت حقه وأن لا أكون ممن يظلمون عباد الله ﷻ.

ويبقى شيء مهم آخر وجب عليَّ التذكير به وهو أن الكتاب الذي ناقشته يحتوي على مغالطات ومغالاة وانفعالات عاطفية كثيرة لم أتطرق لها كونها لا تؤثر على جوهر الدين، بل تبقى في إطار يمكن السكوت عنه إذا جاءت عن حسن نية، وبالطبع لا أعطي المؤلف في نهاية الكتاب شهادة في حسن السلوك والسيرة بإيرادي عبارة عن حسن نية ولكني وجدت غيره ممن تناولوا مثل بعض عباراته المقبولة فقبلتها وكأنني أقرأها عنهم لا عنه.

○ ○ ○ ○ ○

الخاتمة

ليس هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي يثير الجدل والشبهات في مكتباتنا الإسلامية، فكثيرة وكثيرة الكتب التي تماثله.

وكل ما أعلمه عن هذا الكتاب أنه لم يدخل إلى لبنان من الطريق الصحيح، أي بعد موافقة المراجع الدينية عليه، بل دخل بواسطة أفراد ظنوا به خيراً لما يحمله من سيرة النبي محمد ﷺ، ولست ممن يهمه المسلم اللبناني أكثر من غيره بل ممن يسترعي انتباهه قول: ابدأ بنفسك ثم بأخيك.

فيا حبذا لو أدرجت دار الفتوى مشكورة، أسماء الكتب الصحيحة المضمون، والتي تتناول سيرة ومولد سيدنا محمد ﷺ، في لائحة ملزمة للأئمة بحيث تحظر عليهم قراءة ما عداها في مناسباتهم، حفاظاً على جوهر الدين وتفويتاً للفرصة على أعدائه الذين يسهل عليهم خارج إطار الرقابة إدخال الكتب المشبوهة وتعميمها على الأمة الإسلامية، خاصة وأن بعض الأئمة في القرى وفي بعض المساجد لا يساعدهم إدراكهم العلمي على الإحاطة بكل ما تحتويه مثل هذه الكتب.

فيا أئمة الإسلام تيقنوا لما بين أيديكم من الكتب قبل أن تنشروها على المسلمين، واعلموا أن ما يدخل في عقولهم بواسطتكم ستسألون عنه يوم القيامة فمن أصلح نفساً يثاب عليها ومن أفسدها فلن ينجو من عقاب الله ﷻ.

واذكروا أننا لم نصل إلى حضيض الأمم في يومنا هذا إلا لابتعادنا عن جوهر الإسلام، فالمساجد كثيرة، والمصلون كثر والمؤمنون أكثر فأكثر ولكن لا كلمة لهم في عالم اليوم وهم فعلاً كغثاء السيل.

فما ينقصهم؟

أينقصهم غيركم أنتم لتوحدوا كلمتهم وتصلحوا إيمانهم بتنقية عقولهم من

الضلالات الدخيلة على الإسلام، والتي تدخل من الكتاب ومن التلفاز والراديوا وغيرها الكثير من الوسائل، وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول لكم:

هذه الأمة أمانة في أعناقكم، فصونوا هذه الأمانة وحافظوا عليها، فبها تنصرون يوم القيامة وبها تخذلون.

وأسأل الله العلي العظيم التوفيق في هذه الخطوة المتواضعة في لفت الانتباه لما يتبعه المسلمون خطأ من الكتب المدسوسة بين أيديهم من أعداء الإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

○○○○○

الفهرس

كم كنت أتمنى أن لا أجد في المكتبات الإسلامية كتباً تثير الشكوك والشبهات، لما تحتويه من أفكار تضر بالعقيدة الإسلامية.

ولكن أمنيتي هذه اصطدمت بكَمٍّ هائلٍ من الكتب التي لا يسع أي مؤمن من السكوت عنها. فوددت لو كنت قارئاً عنكم لا كاتباً لكم حول مخاطرها، لأن الفائدة تكون أعم وأشمل لو تناولتها عقول لا يسعني أن أضع نفسي أمامها إلا كقطرة واحدة أمام بحر عظيم.

ونظراً لعدم تناول الأئمة لهذه الكتب، فقد تطوّعت لمعالجة بعض ما وصلني منها.

ISBN 9953-434-79-4
9 789953 434797

يطلب من مكتبة المعارف ص.ب. ١١/١٧٦١ بيروت - لبنان